الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⴹ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

تقنيات السرد في رحلة ابن جبير

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين :

- قطيط شيرين
- بن سعدية فاطمة

إشراف الدكتورة:

- سامية عليوات

السنة الجامعية:

2020-2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⴹ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

تقنيات السرد في رحلة ابن جبير

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين :

- قطيط شيرين
- بن سعدية فاطمة

إشراف الدكتورة:

- سامية عليوات

لجنة المناقشة:

1- أ/	جامعة البويرة	رئيسا
2- أ/	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3- أ/	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2020 -2019

إهداء

إلى

من كسونا بحلمهم، وغرسوا في أنفسنا حب العلم والمعرفة "أبوينا"

من طاولت السماء بدعائهما وحبهما وسهرتا لياليهما

"أمهاتنا"

حفظهما الله ورعاهما

من غمروني رعايتهم وحبهم إخوتي

والأساتذة "عليوات سامية " التي كانت نعم السند لنا

و كل صديقاتنا، كل باسمه

كل من بادلنا البسمة وقاسمنا السلام إلى كل هؤلاء

فاطمة وشيرين

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعاننا على إنجاز هذا البحث، ولا يسعنا إلاّ أن نسجد لله شكراً وحمداً على توفيقه، ويذكر لأهل الفضل علينا بعد الله سبحانه كل جميل وحسن صنيع.

تودّ الباحثتان أن تعربا عن جزيل شكرهما وامتنانهما إلى كل من أسدى يد العون لهذه الدراسة، منذ إرساء لبناتها الأولى وحتى إخراجها، لذا نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان وآيات الامتنان والتقدير إلى الأستاذة المشرفة: **عليوات سامية** ، التي أمدت بكل ما هو قيّم لإرشادنا، فدعواتنا وصلواتنا أن يبلغها الله خير مبلغ.

كما نزفّ عبارات الشكر والمحبة إلى كل من قدّم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل.

شيرين – فاطمة

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الرحلة نوعا أدبيا قديما شكلا ومضمونا ،تعكس صورة واقع تلك الفترة بكل ما فيه بطريقة فنيّة وجماليّة، وهي فضاء تعبيري يلجأ إليها السّارد لنقل تجربته وأحاسيسه، ووجهة نظره إلى القارئ والمتلقي محرّكا عواطفه، وذهنه، وخياله، من خلال مجموعة من العناصر التي تتضافر فيما بينها لتمنح الرحلة قيمتها، وبريقها وقدرتها على إيصال الأفكار، ومن أبرز هذه العناصر: المكان ، الزمان، الشّخصية، الوصف، التّناص والخصائص الفنيّة للرحلة التي تمثّل مركز العمل الرحلي وهي من نسيج خيال الرّحالة يبث فيها الحياة ويصوّرها بشكل فنّي دقيق تجسّد تجربته في الحياة وتعبّر عن خلجات نفسه.

وقد سجّلت رحلة ابن جبير مواكبة واضحة لراهن مأساة المسلمين في تلك الفترة، وكان لها حضورا متميّزا و جادا في تصوير المجتمع الإسلامي بكل أطيافه السياسية والاجتماعية والدّينية و الثقافية، راصدا بذلك كل أنواع التوافق والتصادم بين الاجتماعية والدّينية من حيث الرؤى المختلفة.

ومن بين الرّحالين الذين واكبوا هذا الوضع ونقلوه للمتلقي :ابن جبير الأندلسي برحلة ابن جبير موضوع هذه الدراسة و سيتّم التركيز على العناصر المذكورة سابقا، لنقوم بدراستها و تحليلها.

ومن هنا جاءت دراستنا تحت عنوان : " تقيات السّرد في رحلة ابن جبير".

وقد وقع اِختيارنا على هذا الموضوع لأسباب عدّة منها الذاتي والموضوعي، فالذاتية تتمثل في ميلنا للأسلوب الذي يزخر به أدب الرحلات، أمّا الموضوعي فراجع إلى ما تعرضه رحلته من مواضيع تستقي أصولها من صميم واقع المجتمع الإسلامي، وسنكون فيه مقام الباحثتان الناقدتان لا مقام الكاتبتان المكرّرتان.

وتتأسس إشكالية البحث الأساسية انطلاقا من تساؤلات افتراضية انبنت وفق الطرح الآتي : **ماهي تقنيات السرد التي تحتويها مدونة ابن جبير ؟ وماهي أهم عناصرها ؟**

و للإجابة عن هذه التساؤلات اِرتأينا الاِستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي ، وسبب اِختيارنا له راجع لطبيعة الموضوع المعالج بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى اِعتباره الأقدر على فك مجاهيل الرحلة السّردية.

واِقتضت طبيعة البحث على هذا الأساس أن يكون تصميمه شاملا لمدخل وفصلين تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة.

أمّا المقدمة فتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اِختياره، وإشكالات البحث، مع بيان للمنهج المتتبع فيه.

وأُفتتحنا المدخل بعنوان: مفاهيم ومصطلحات حول تقنيات السّرد في رحلة ابن جبير، موضحين فيه: السّرد، الرحلة ، أدب الرحلة، ابن جبير، ملخص الرحلة.

أمّا الفصل الأول الموسوم بـ " تقنيات السّرد"، فتناولنا فيه المكان وأنواعه، الزمن وأنواعه وأهميته، مفهوم الشخصية وأبعادها ووظيفتها وعلاقتها بالمكونات السّردية.

وجاء الفصل الثاني بـ " جماليات السّرد " ليقدم قراءة حول الوصف ،التناص وأنواعه بالإضافة للخصائص الفنيّة للرحلة.

وذيّل البحث أخيرا بخاتمة تضم جملة من النتائج المتوصل إليها فيه، والمستخلصة من حقوله .

وفي خوضنا لغمار هذا البحث اِعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، كانت عونا لنا ونورا يضئ دربنا، ويثري زادنا المعرفي، ولعل أهمها: القران الكريم.

وإنّ البحث في الموضوع ليس من السهولة بمكان حيث اِعترض سبيلنا بعض الصعوبات، منها صعوبة وباء كورونا المستجد وعرقلته لمسيرتنا البحثية الأدبية.

ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نحمد الله بما يليق بجلاله على توفيقه لنا ، وأتوجه بخالص الشكر والإمتنان لمشرفتنا الفاضلة «**عليوات سامية**» التي كانت لنا نعم السّند ونعم المرشد، والشكر أيضا لكل من أسدى إلينا دعما أيا كان، ونرجو أن يلقى بحثنا هذا القبول والتقدير،ونشير إلى أنّه لا يخلو من نقص و عثرات تحفّز همة الباحثين على اِستكمالها وسدّها أو الإضافة إليها خاصة وأنّ الرّحلة فضاء مفتوح على قراءات كثيرة من زوايا عديدة.

وحسبنا أن تكون الدراسة مساهمة تضاف إلى رصيد بحوث سابقة في اِنتظار دراسات لاحقة تثريها، وتعمّق دراستها، فإن أصبنا فيها، فللّه الفضل، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وما تمّ الكمال إلا لله ﷻ.

مدخل: مفاهيم ومصطلحات حول تقنيات السرد في رحلة ابن جبير

1- السّرد:

1-1- المفهوم اللّغوي

1-2- المفهوم الاصطلاحي

1-3- المفهوم الدّيني

2- الرحلة المفهوم:

2-1- المفهوم اللّغوي

2-2- المفهوم الاصطلاحي

2-3- المفهوم الدّيني

3- مفهوم أدب الرحلة.

4- التعريف بالرّحالة ابن جبير.

5- ملخص رحلة ابن جبير.

❖ **السّرد:**

المفهوم اللّغوي:

ترد كلمة سرد في المعاجم اللّغوية العربية، في المفهوم الغالب في سيّاق معان تفيد التوالي والإتّصال والإنتظام، حيث جاء السّرد في القاموس المحيط بمعنى « النسج والسبك » [1].

المفهوم الاصطلاحي:

نجد السّرد بمعنى « قص حدث أو أحداث، أو خبر أو أخبار، سواء كان ذلك من صميم الحقيقة أم من إبتكار الخيال» [2]، وقد تكشف دلالة السّرد المعجمية اللّغوية والاصطلاحية « كونه الأداة الأساسية الفاعلة في عملية بناء النص، فهو أداة لنسيج العلاقات بين العناصر الفنية التي يقوم عليها النص القصصي » [3].

المفهوم الديني:

وردت لفظة سرد في القرآن الكريم، يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ ﴾[4]

ومما قاله القرطبي في تفسير العبارة: « وقدّر في السّرد: السّرد نسج حلق السرود، ويقال سرد الحديث والصوم، فالسّرد فيهما، أي يجيء بهما ولاء في نسق واحد، ومنه سرد الحديث»[5]. ونفهم من هذا أنّ السّرد هو الربط المتقن بين أجزاء الشيء. والحكاية أو الحكي، هو القصّة المحكية.

---

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1999، ج1، ص417.

[2] مجدي وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص198.

[3] شجاع العاني، البناء لرواية الحرب في العراق، دار شؤون الثقافة العامة، بغداد، 1964، ص187.

[4] القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 10-11.

[5] إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون/ منشورات الاختلاف، بيروت لبنان، 2008، ص31.

❖ **الرحلة:**

المفهوم اللّغوي:

ورد مفهوم الرحلة في لسان العرب بأنّها «رحل الرجل، إذا سار، ورحل رحول ،وقوم رحل، أي يرتحلون كثير، ورجل رحال: عالم وبذلك ومجيد له، و الترحل والإرتحال: الإنتقال ، والرحلة: اسم للإرتحال، وقال بعضهم: الرحلة=الإرتحال، والرحلة بالضم، والوجه الذي تأخذ فيه وتريد»[1].

وجاء في القاموس المحيط: «ارتحل البعير: سار ومضى، والقيم عن المكان: إنتقلوا، ترحلوا والاسم: الرحلة بالضم والكسر، الإرتحال، وبالضم: الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة»[2].

المفهوم الاصطلاحي:

إنّ الرحلة معنى كتابة ما يسميه سعيد يقطين: « خطاب الرحلة، ويعرفه بأنه عملية تلفيظ لفعل الرحلة» [3].

نفهم من هذا القول أن الرحلة كتابة تعني أنّ الرحالة يحكي أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مضيفا إلى ذلك إنطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم. كما تعدّ الرحلة « النوع الأدبي الذي يفسح المجال أمام ترسيخ تقليد الموازنة بين فضائيين وقيمتين وصورتين ،حتى في الحالات التي تقتصر فيها الرحلة على مجرد الوصف للعالم الجديد ،لأنّ هذا الوصف يخضع عن وعي أو لا وعي ،لمنظور وثقافة الواصف الذي يعمل على تحويل نوعي ومفهومي للمنظورات » [4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 1608.

[2] مجد الدين بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرفوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2005، ص 1005.

[3] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص200.

[4] سعيد علوش، الصورة الغربية في الذاكرة الغربية، ضمن مجلة الثقافة الأجنبية (محور أدب الرحلات)، بغداد، العراق، السنة التاسعة، العدد 03، 1989، ص19.

المفهوم الدّيني:

وردت لفظة رحلة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منه قوله تعالى:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة ذكرت لفظة رحلة بغرض التجارة التي كانت تقوم بها قبيلة قريش أثناء الشّتاء والصيف، كما يمكن أن تكون الرحلة والسفر لأغراض متعددة كطلب الرزق مثلا كما جاء في قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ﴾[2].

كما يعد طلب العلم من أهم الأسباب التي من أجلها تكون الرحلة لأنّه يعد من أهم الفرائض الإسلامية، ومن هنا تكون رغبة الرحالة في فك أسرار الأرض والتعرف على خباياها باعتبار الإنسان بطبعه في حركة دائمة يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾[3].

ولا تزال دعوات الله مبثوثة في القرآن الكريم يحفّز الإنسان فيها على الرحلة لأنّ طبيعة الرسالة الإسلامية كانت تقتضي الإرتحال والسفر من مكان إلى آخر بغية نشر الدين الإسلامي الحنيف يقول تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾[4].

ويقول تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾[5].

---

(1) القرآن الكريم، سورة قريش، الآية 01-02.

(2) القرآن الكريم، الملك، الآية 15.

(3) القرآن الكريم، النساء، الآية 97.

(4) القرآن الكريم، الأنعام، الآية 11.

(5) القرآن الكريم، الحجرات ، الآية 13.

مفهوم أدب الرحلة:

« هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ،وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[1].

نفهم من هذا التعريف أنّ أدب الرحلة يقوم على تسجيل دقيق لما يراه الرّحالة في رحلته من مناظر طبيعية و مدن وشخصيات ويكون هذا التسجيل كتابة في مراحله السّردية الوصفية.

وجاء مفهوم أدب الرحلة عند شعيب حليفي بأنه :« فن من فنون النثر العربي ،وتشكيل للنص ذاتي شخصي بخصوص من الأنا والآخر... يتبين مكتفي في شكل معيّن للتعبير عن رؤية معيّنة انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية أو مضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات » [2].

التعريف بالرحالة ابن جبير:

« هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الأندلسي، الشاطبي، البلنسي، ولد في بلنسية، وسمع العلوم من أبيه في شاطبة، و أخد القرآن عن أبي الحسن بن أبي العيش.

كان من علماء الأندلس في الفقه والحديث، وكانت له مشاركة في الآداب. وصفه لسان الدين بن الخطيب في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة " بأنّه كان أديبا بارعا، شاعرا مجيدا، سريّ النفس، كريم الأخلاق ولكن شهرته لم تقم إلاّ على كتابه هذا المعروف برحلة ابن جبير، الذي وضع بعد أن قام برحلات ثلاث، أهمها رحلة اِستغرقت أكثر من ثلاث سنوات، بدأها يوم الاثنين في التاسع عشر من شوال سنة 578هـ .الموافق اليوم الثالث من شهر شباط سنة 182م . وختمها في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر محرم سنة 581هـ .الموافق اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة 1185م. وقد وصف في هذه الرحلة كل ما مر به من مدن وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع، والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وعني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج، ومجالس الوعظ والمستشفيات والمارستانات ووصف كذلك الكنائس والمعابد والقلاع والعواصف البحرية ،وما كابده المسافرون من

---

[1] عبد الفتاح كيليطو، الحكاية والتأويل – دراسات في السرد العربي– دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص73.

[2] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، " التجنيس آليات الكتابة خطاب المخيل ورؤيته"، القاهرة، ط1، ص45.

ضيق وذعر، وذكر الحروب التي كانت دائرة في الشرق بين الصليبيين والمسلمين ، وما كان عليه الأهالي مسلمين و مسحيين من علاقات حسنة في خلال تلك الحروب . ووصفه لكل ذلك دقيق مسهب يدل على دقة ملاحظته وسعة علمه.

وكان شديد الإعجاب بالسلطان صلاح الدين الأيوبي عظيم الإكبار له، فلا تمر سانحة إلا يبيّن فيها ما كان عليه هذا السلطان العظيم من العدل ونبل الأخلاق وكرم السجايا.

وابن جبير قوي العاطفة الدينية،يختتم كل كلام بالدعاء إلى الله تعالى والتوكل عليه ﷻ ،وهذه العاطفة المتّقدة دفعته إلى إرسال الأدعية للمدن التي مر بها ،فمنها ما يدعو لها بحرسها الله ، وعمّرها الله ، وحماها الله ، وما شابه أو أعادها الله إذا كانت ممّا خرج من يد المسلمين إلى أيدي الفرنجة ، ومنها ما يدعو عليها بدمّرها الله إذا كانت تحت سلطان الفرنجة.

وقد كان يفتنه كل ما يشاهده، فكل مشهد يقيّد الأبصار ويستوقف المستفز تعجّبا. وقد تحول في آخر رحلة قام بها إلى مصر والإسكندرية فأقام يحدّث هنالك إلى أن توفيّ.

و رحلته هذه كتاب نفيس في بابه لا غنية عنه للمؤرخين والجغرافيين، وكل من أراد الإطلاع على أحوال تلك الحقبة. وقد اِهتم به المستشرقون فترجم القسم المختص منه بصقلية إلى الفرنسية وطبع سنة 1846، وطبع كله لأول مرة في ليدن سنة 1852 مع مقدمة للمستشرق " رايت "، وأُعيد طبعه هنالك أيضا في سنة 1907 وفي صدره ترجمة لمؤلفه»[1].

ملخص الرحلة:

مؤلّف " الرحلة " بساط الريح يحمل على جناحيه القارئ ويطير به من بلد إلى بلد فيطلعه على طباع الخلق وعاداتهم ونظمهم ويتمتع ناظريه بتشييداتهم ونصبهم ومعالمهم وما رافق إنشاؤها من غريب الأخبار.

إنه دليل القارئ في متاهات المجهول من البلدان والأجناس يرافقه خطوة خطوة ويأخذ بيده في رفق متعديا العقبات والمصاعب حتى يصل به إلى الغاية الكبرى، إلى بيت الله الحرام.

وقد كان لهذا المؤلف الفضل في ذيوع صيت ابن جبير، وإذا كان يرمي من خلال رحلته أساسا إلى القيام بمبرة واكتساب الأجر بتوضيح مناسك الحق لمعاصريه، وبيان المسالك التي ينبغي عليهم إتباعها للقيام بهذه الفريضة، فقد ضمن رحلته- بالإضافة إلى ذلك- بما لا يحصى من

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار، دار صادر، بيروت، ص5-6.

الملاحظات القيّمة التي جعلت منها وثيقة غنية بما يقيد الأديب والباحث في الجغرافيا والتاريخ، والعمران وعلم الاجتماع، وعن الحركة السياسية والدينية والاقتصادية آنذاك، فكانت رحلته في الوقت نفسه:

- دليلا للحج ومناسكه؛
- دليلا سياحيا ممتعا ومشوقا للشرق العربي؛
- وثيقة صحافية لوضعية العالم العربي، تتميز بالموضوعية والحيوية وهي من إنشاء شاهد عيان، لا يستغني عنها الباحث في مختلف الميادين.

ومن السهل متابعة رحلته خطوة خطوة لأنه يذكر بدقة فائقة جميع مراحلها، مؤرخا لها بالتاريخ الهجري والميلادي، وأهم هذه المراحل هي:

- رحلته من غرناطة إلى جزيرة "طريف" أول ساعة من يوم الخميس الثامن شوال سنة ثمان وسبعين وخمس مائة، الموافق لفاتح فبراير سنة 1183م.
- ومن جزيرة طريف انتقل إلى سبته في الإسكندرية عن طريق البحر الأبيض المتوسط محاذيا مبورقة و منورقة و سردانية وصقيلة و أقريطيش.
- ثم شدّ رحاله إلى القاهرة فإلى الصعيد محاذيا وادي النيل فبعذاب.
- ومنها اِنتقل إلى جدّة عن طريق البحر الأحمر فإلى مكة فالمدينة.
- ثم خرج إلى الكوفة فالحلة فبغداد فالموصل فحلب فحماة فحمص فدمشق فعكة فصور، ليعود من جديد إلى عكة، ومنها ركب البحر فنزل بصقلية بعد اِنكسار مركبه، ومنها أخذ طريقة إلى قرطاجة.
- ثم عاد إلى غرناطة فوصلها يوم الخميس الثاني والعشرين محرم سنة 680هـ الموافق ل 20أفريل 1185 م.

وقد اِشتملت الرحلة على وصف البلدان بدقة، حيث تناول المؤلف بساتينها وأسواقها، وتعرض لعمرانها وهندستها، فذكر مساجدها ومشاهدها ومستشفياتها ومدارسها، ثم أبدى ملاحظات قيّمة حول الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فذكر العادات والتقاليد ووصف الاحتفالات بالمواسم، واِنتقد المواقف التي تعبّر عن بدع تتنافى مع الدين الإسلامي، وكان في هذا معتدلا غير متطرف، ولا غرابة في ذلك، فقد عرف بالأدب والعلم والورع، وكان يختلف إلى حلقات العلماء والوعاظ يأخذ عنهم ويحاورهم.

وقد أبدع خاصة في وصف مناسك الحج وما يرافقها من احتفالات دينية، وله صفحات كلاسيكية مشهورة كثيرا ما تتوارد في النصوص الأدبية والمؤلفات المدرسية منها:

– وصف الزوبعة في البحر، و منار الإسكندرية، و وصف الكعبة والحرم الشريف، والعمرة الرجبية، ورمضان في مكة، و وصف بغداد و مسجد دمشق.

ولعلّ الأمر الذي ساعد على رحلته وما اِحتوته من نصوص أدبية ينتمي أغلبها إلى فن الوصف الرفيع أنها تميزت بأسلوب فصيح، راعى فيه المؤلف السهولة والبساطة مع الدقة ومناسبة المقام، حتى يكون في متناول جميع القراء لأن هدفه الأساسي من هذا التأليف هو تيسير الحج لمن كان يرغب في أداء هذه الشعيرة الدينية المقدسة.

وأهم ما يمكن اِستخلاصه من كل ما تقدم أن ابن جبير يعتبر بحق رائد "مدرسة فن الرحلات". فقد صاغ نموذجا حيا للكتاب الرحالة ممن غادروا بلادهم طلبا للعلم، أو أداء لفريضة الحج، أو قضاء لسفارة في الخارج، أو حبا في المغامرة والاطلاع على عجائب البلدان والأخبار ونذكر منهم: "ابن بطوطة" صاحب "الرحلة" التي ذاعت شهرتها في الآفاق».[1]

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، مقدمة الكتاب.

الفصل الأول

تقنيات السرد

1. المكان.
2. الزمان.
3. الشخصيات.

1. المكان:

أ. المفهوم اللغوي :

جاء في لسان العرب :« المكان الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع » [1] « ومكان جمع أمكنة،جمع أماكن، وهو موضع مفعل من كون، مكان الجريمة،مكان لقاء، هو من العلم بمكان، أي له فيه قدرة ومنزلة، هذا مكان هذا أي بدّله»[2].

وفي معجم العين: « المكان : اشتقاقه من كان يكون، فلما كثرت صارت الميم كأنها أصلية فجمع على أمكنة، ويقال أيضا :تمكن،كما يقال من المسكين: تمسكن، وفلان منى مكان هذا، وهو منى موضع الهامة وغير هذا ثم، يخرجه العرب على المفعل، ولا يخرجونه على غير ذلك من المصادر »[3].

ب. المفهوم الاصطلاحي:

عرفه وسيم الأحمر بأنّه « وسط منسجم وغير محدود تقع فيه الأشياء اللطيفة الشديدة الحساسية» [4].

ويرى باشلار في مفهومه للمكان: « إن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب،فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيّز »[5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، مج 6، 1997، ص83.

[2] صبحي حموي، أنطوان نعمة، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001، ص1351.

[3] الخليل ابن أحمد الفراهدي، كتاب العين، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ج4، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص59.

[4] فيصل الأحمر، معجم السميائيات، دار العربية للعلوم، ناشر، بيروت، 2010، ص124.

[5] غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984، ص31.

ج. المفهوم الفلسفي :

ومن تعاريف المكان في المنظور الفلسفي هو:«الحيز المتصور، الذي يشغله الجسم وتمتد فيه أبعاده، من خصائصه أنّه متجانس أجزاؤه المتوهمة من جنس واحد متماثل خصائصه واحدة في جميع الاتجاهات، متّصل لا أجزاء له متمايزة بالفعل، غير محدود يمكن الانتقال فيه باستمرار» [1]

وأيضا من المفاهيم الفلسفية للمكان أنّه: « وسط مثالي غير متداخل لأجزاء، حاو للأجسام المستقرة فيه محيط بكل امتداد متناه، وهو متجانس الأقسام، متشابه الخواص في جميع الاتجاهات، متصل وغير محدود»[2].

د. المفهوم الفني :

أمّا المكان في مفهومه الفنّي يتجلى في ذلك: « الانزياح والتحوّل والنفي عن أمكنة الواقع، حيث يصبح للمكان خلقة أخرى في النّص»[3].

وذهب « عزدين مناصرة » أنّ المكان « ليس عملا طارئا، فهو ذلك الفضاء الفسيح الذي يحتضن عمليات التفاعل والتخاطب والتناغم بين الذات والعالم الخارجي .وفي غياب الإطلاع على أسرار المكان وأبعاده يكون التواصل معه صعبا، فتكثر دواعي الانفصال عنه»[4].

---

[1] محمد يعقوبي، معجم الفلسفة، أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1998، ص155.

[2] جميل صليب، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، دار التوفيق، بيروت، لبنان، 1994، ص412.

[3] عزدين المناصرة، نقلا عن: مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2011، ص27.

[4] المرجع نفسه، ص36.

نفهم من هذا القول أن المكان الواقعي بالنسبة للإنسان لديه دلالتان مختلفتان هما:

الأولى: حقيقة الاستقرار والثبات والراحة و التعلق بالمكان لما فيه من حنين وذكريات جميلة كالبيت مثلا باعتباره مهد الإنسان الأول يقول باشلار: « ذلك البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة،انه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة » [1].

الثانية: حقيقة وجود أمكنة مظلمة في حياة الإنسان، تكون مصدر قلق و ألم له كالسجون و الإقامة الجبرية وأماكن النفي والاغتراب كالسجن في حياة سيّدنا يوسف عليه السلام. وكثير من الأمكنة تكون على علاقة انفصال مع صاحبها بالرغم ما توفره من راحة مادية وندعم هذا القول بمثال: الأمير عبد القادر عندما نفي إلى " قصر فيرساي" في فرنسا،لم يحب القصر وكان دائما يحنّ إلى حياة البدو والرجوع إليها.

هـ. المفهوم الديني :

أما بالنسبة للمكان في المفهوم الدّيني هناك سوّر كاملة سميت بأسماء أمكنة مثل : سبأ، الكهف، الطور، الأحقاف، الحجرات. كما هناك أسماء بلدان عربية بعينها ذكرت في القرآن الكريم كمصر لقوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

---

[1] غاستون باشلار، جماليات المكان، المرجع السابق، ص6.

[2] القرآن الكريم: سورة يوسف الاية21.

وأماكن أقسم الله جل علاه بها كقوله :

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾[1].

وفي سورة الرحمان نجد تعالى ذكر المكان ذكرا عاما مطلقا كالسموات والأرض في قوله تعالى:

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ۝٣٣ ﴾[2].

وفي سورة الواقعة استعمل الله النعت المكاني في قوله:

﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ ﴾[3].

أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة، للدلالة على أهل الجنة وأصحاب النار.

وانطلاقا من هذه المفاهيم نتطرق إلى دراسة المكان المقدس ودلالته في هذه الرحلة بالإضافة إلى المرور بجماليات المكان العادي وإسهامهما في إبراز هذه الرحلة وتأثيرهما في الأدب.

---

[1] القرآن الكريم: سورة البلد ،الآية1-2.

[2] القرآن الكريم: سورة الرحمن ، الآية33.

[3] القرآن الكريم: سورة الواقعة الآية 8-9.

1-2- جماليات المكان المقدس ودلالته:

يحظى المكان المقدّس بمنزلة خاصة وشأن عظيم في قلوب الناس نظرا لأهميته التاريخية، كما أنّه يمكّنهم من ممارسة شعائرهم الدّينية، وساهم بشكل كبير في تغيير طريقة حياتهم وعقيدتهم، ففي الأماكن المقدّسة يسمو إيمان المرء ويتقرّب إلى خالقه بتأديته واجباته الدينية بعيدا عن مغريات الحياة وترفها فمن « هنا يصبح المكان المقدّس حافزا على الرغبة في التماهي مع المسلكيات الخيّرة ودموع الرحالة لا تتوقف عن إعادة صياغة ذات تخلق من جديد » [1].

نفهم من هذا القول أن المكان المقدس يحفّز المؤمن على العمل الصالح الصادق وكأنه يعيد خلق ذات جديدة خالية من الأخطاء متعلقة بربها تعبده وحده.

وغالبا ما تكون الغاية من الذهاب إلى البقاع المقدّسة بتأدية فريضة الحج وتطهير النفس من الذنوب، يقول "فؤاد قنديل" : « كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدّسة ، تلبية لنداء الرحمن و توبة وتطهيرا للنّفس من دنس الذنوب وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة » [2]. ويذهب " عمر بن قينة " إلى أبعد من ذلك حيث يعتبر « الحج تجربة إنسانية روحية، عكست ذلك الارتباط الروحي العميق بأرض الحرمين الشريفين، مهوى قلوب الملايين و أبدانهم، هو ارتباط يتّسم في مواسم الحج بشيء من الوجد المحتدم في النفوس،حيث يشرع المسلم،يشاهد مراكب الحجاج تشدّ الرّحال، فتمور حناياها بطرب روحي،تتراجع معه كل متاعب النّفس والبدن »[3].

---

[1] عبد الرحيم مؤذن، الرحلة في الأدب المغربي، النص، النوع، السياق، افريقيا الشرق ، المغرب ،2006 ،ص 20.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ، مصر ، 2002 ، ص19.

[3] عمر بن قينة، رحلة ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص61.

نستنتج من هذا القول بأنّ الحّج أكثر من كونه واجب ديني وركن من أركان الإسلام، فهو تجربة روحية تربط قلب الإنسان بربه حسب "عمر بن قينة " وتزول عند هذه التجربة كل متاعب النّفس والبدن.

1-2-1- مكة المكرمة:

هي مدينة مقدّسة لدى المسلمين، بها المسجد الحرام، والكعبة التي تعدّ قبلة لهم في صلاتهم، يقول ابن جبير في تعريفها: « هي بلدة قد وضعها الله عز وجل بين جبال محدّقة بها وهي بطن واد مقدّس، كبيرة مستطيلة، تسع من الخلائق مالا يحصيه إلا الله عز وجل » [1]. واسم مكة مذكور في القرآن الكريم لقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ومن أسمائها أيضا أم القرى لقوله تعالى:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[3].

والبلد لقوله تعالى:

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾[4].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت، ص87.

[2] القرآن الكريم: سورة الفتح الاية24.

[3] القرآن الكريم: سورة الأنعام الاية92.

[4] القرآن الكريم: سورة البلد الاية1-2.

والبلد الأمين في قوله تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ ﴾[1].

وتعتبر مكة المكرمة مسقط رأس النبي، ﷺ، وزيارتها واجبة على كل مسلم خلال إحدى فترات حياته، حيث أنّ الحج يعتبر أحد الأركان الخمسة للإسلام، وتتميز مكة بوجود بئر زمزم بها يقول ابن جبير عن هذا الماء المقدّس: « وهذا الماء المبارك في أمره عجب، وذلك أنك تشربه عند خروجه من قراراته ، فتجده في حاسة الذوق كاللبن عند خروجه من الضرع دفيئا، وتلك فيه من الله تعالى آية وعناية، وبركته أشهر من أن تحتاج لوصف واصف، وهو لما شرب له كما قال، ﷺ، أروى الله منه كل ظامئ إليه، بعزته وكرمه »[2].

وتحتوي مكة المكرمة على العديد من المعالم الدينية و التاريخية يقول ابن جبير: « فمن مشاهدها التي عايناها قبة الوحي،وهي في دار خديجة أم المؤمنين،رضي الله عنها» [3].

ويقول في موضع آخر: « ومن مشاهدها الكريمة أيضا مولد النبي، ﷺ، والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مست جسمه الطاهر، بني عليها مسجد لم ير أحفل بناء منه، أكثره ذهب منزل به » [4]. ويقول أيضا: « ومن مشاهدها الكريمة أيضا دار الحيزران، وهي الدار التي كان النبي، ﷺ، يعبد الله فيها سرا مع الطائفة الكبرى المبادرة للإسلام من أصحابه، رضي الله عنهم »[5].

---

[1] القرآن الكريم: سورة التين الاية1-3.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص101.

[3] المصدر نفسه ، ص91.

[4] نفسه ، ص 91-92.

[5] نفسه، ص92.

ومن آثار مكة أيضا يقول ابن جبير: « دار أبي بكر الصديق، رضي الله عنه،وهي اليوم دراسة الأثر، ويقابلها جدار فيه حجر مبارك يتبرك الناس بلمسه » [1]. كما لفته أيضا « قبة بين الصفا والمروة تنسب لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وفي وسطها بئر يقال أنه كان يجلس فيها المحكم رضي الله عنه »[2].

وذكر ابن جبير العديد من الجبال التي رآها في مكة يقول في رحلته: « ومن جبال مكة المشهورة، بعد جبل أبي قبيس، جبل حراء، وهو في الشرق على مقدار فرسخ أو نحوه مشرف على منى،وهو مرتفع في الهواء عالي القنّة » [3]. ويقول أيضا:«ومن الجبال التي فيها أثر كبير ومشهد عظيم الجبل المعروف بأبي ثور، وهو في الجهة اليمنية من مكة على مقدار فرسخ أو أزيد »[4].

كما ذكر غار حراء أيضا في قوله : « وأكثر الناس ينتابون هذا الغار المبارك ويتجنبون دخوله من الباب الذي أحدث الله عز وجل فيه، ويرومون دخوله من الشق الذي دخل النبي ، ﷺ ، منه تبركا به » [5].

ولفت انتباهه أيضا ما خص الله به مكة من الخيرات والبركات يقول: « هذه البلدة المباركة سبقت لها ولأهلها الدعوة الخليلية الإبراهيمية، وذلك أن الله عز وجل يقول حاكيا عن خليله، صلى الله عليه وسلم:

(رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ٣٧) [6] .سورة إبراهيم , الآية37.»

---

[1]ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص92.

[2]المصدر نفسه ، ص92.

[3]نفسه، ص90.

[4] نفسه، ص93.

[5] نفسه، ص94.

[6]نفسه ، ص96.

فهذه الآية الكريمة جسّدت ما رآه ابن جبير من خيرات في مكة المكرمة واستجابة الله لنبيّه إبراهيم عليه السلام يقول: « وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن أن الأندلس اُختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حلّقنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تخص بالنعم الفواكه: كالتّين والعنب، والرمان، والفرجل، والخوخ، والأترج، والجوز، والمقل، والبطيخ، والقثاء، والخيار،إلى جميع البقول كلها: كالباذنجان، واليقطين، والسلجم، والجزر، والكرنب، إلى سائرها، إلى غير ذلك من الرياحين العبقة و المشمومات العطرة » [1].

أ. **المسجد الحرام:**

هو أعظم مسجد في الإسلام ويقع في قلب مكة المكرمة، تتوسطه الكعبة المشرفة وهي أعظم وأقدس بقعة على وجه الأرض عند المسلمين وسمي بالمسجد الحرام لحرمة القتال فيه وتعدل الصلاة فيه مائة ألف صلاة لقوله، ﷺ :(صلاة في مسجدي هذا، أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام، أفضل من مئة صلاة في هذا) [2].

وفي هذا الحديث النبوي الشريف تبيان وتقديس للمسجد الحرام من أشرف الناس أخلاقا، محمد ﷺ، ويدعم هذا السياق من القول ابن جبير قائلا: « ومن عجائب الله تبارك وتعالى به أنه لا يخلو من الطائفين ساعة من النهار ولا وقتا من الليل، فلا تجد من يخبر أنه رآه دون طائف به ، فسبحان من كرّمه وعظّمه وخلّد له التشريف إلى يوم القيامة » [3].

يظهر لنا من هذا القول بأن ابن جبير منبهر ببركة هذا المسجد وقدسيته .

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص97.

[2] رواه الألباني، فص صحيح الترغيب، عن عبد الله بن الزبير، الصفحة أو الرقم: 1172، حديث صحيح.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص76.

ويعد المسجد الحرام قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لقوله تعالى:

﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ١٤٤ ﴾ [1].

ولم يتوقف ابن جبير عند وصف المسجد الحرام فقط بل ذكر ما يحيط به قائلا: « وبإزاء الحرم الشريف ديار كثيرة لها أبواب يخرج منها إليه، وناهيك بهذا الجوار الكريم كدار زبيدة ودار القاضي ودار تعرف بالعجلة وسواها من الديار» [2].

ب. **الكعبة المشرفة:**

وهي التي تهوى لها قلوب الملايين من المسلمين من جميع أصقاع العالم في بيت الله الحرام عند الحج والعمرة،و للبيت العتيق مكانة عظيمة في الإسلام باعتبارها قبلة المسلمين كما تعتبر تحفة فنية هندسية « البيت المكرم له أربعة أركان، وهو قريب من التربيع » [3].

ويكمل ابن جبير منبهرا بجمالها « وداخل البيت الكريم مفروش بالرخام المجزّع، وحيطانه رخام كلها مجزّع » [4]. ويقول في موضع آخر« ودائر البيت كله من نصفه الأعلى مطلي بالفضة المذهبة المستحسنة، يخيّل الناظر إليها أنها صفيحة ذهب لغلظها »[5].

---

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 144.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص81.

[3] المصدر نفسه ، ص59.

[4] نفسه ، ص60.

[5] نفسه، ص60.

ويرجع بناء الكعبة إلى عهد سيّدنا آدم عليه السلام إلا أنّها دمرت عبر السنين ولم يبق مكانها شيء إلى أن أوحى الله إلى سيّدنا إبراهيم بمكان البيت لقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

ثم أعيد بناء الكعبة في عهد قريش، واكتملت معالمها بمجيء الرسالة المحمدية .

وكثيرا ما تتشرف البلدان العربية والإسلامية بكسوة الكعبة المشرفة يقول ابن جبير: « وكسوة الكعبة من الحرير الأخضر » [2].

ويقول في بنائها أن : « البيت العتيق مبني بالحجارة الكبار الصم السمر قد رصّ بعضها على بعض وألصقت بالعقد الوثيق إلصاقا لا تحيله الأيام ولا تقصمه الأزمان »[3].

يتبين لنا من هذا القول طريقة بناء الكعبة المتقن عبر الزمن .

ج. **دار خديجة الكبرى:**

هي من أهم الأماكن التاريخية المهمة في الإسلام، حيث شهدت أحداثا وتطورات كثيرة جمعت بين الحلاوة والمرارة وتعتبر إحدى أهم المراكز التاريخية والدينية للمسلمين، وعلى مدى التاريخ، كان المسلمون يهتمون بتلك الدار حتى حولوها إلى مكان ديني يزار، كما تشرف ابن جبير بزيارتها يقول: « دخلت أيضا في اليوم المذكور دار خديجة الكبرى، رضوان الله عليها، وفيها قبة الوحي، وفيها أيضا مولد فاطمة، رضي الله عنها » [4].

---

[1] القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 26.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص69.

[3] المصدر نفسه ، ص75.

[4] نفسه، ص141.

وتطرّق إلى وصف الدار **قائلا** : « وهو بيت صغير مائل للطول، والمولد شبه صهريج صغير وفي وسطه حجر أسود، وفي البيت المذكور مولد الحسن والحسين ابنيهما، رضي الله عنهما » [1].

ويقول في موضع آخر: « وفي الدار المكرمة أيضا مختبأ النبي، ﷺ، شبيه القبة، وفيه مقعد في الأرض عميق شبيه الحفرة داخل في الجدار قليلا وقد خرج عليه من الجدار حجر مبسوط كأنه يظل المقعد المذكور » [2]، فمن هذه الدار المكرمة سطعت شمس الإسلام وأطلّت أنواره على كل أرجاء المعمورة، كما أنها محل ولادة أسمى وأكرم وأفضل سيّدة في العالم فاطمة الزهراء رضي الله عنها. و« ينقل بعض المؤرخين،أن النبي الأكرم، ﷺ صعد إلى المعراج من دار خديجة، وهبط فيها لدى عودته من رحلة العروج إلى السماء » [3]. نقل لنا ابن جبير تفاصيل معجزة الاسراء والمعراج التي حدثت في هذه الدار المباركة .

ويتطرق المؤرخ " تقي الدّين" إلى بعض ميزات دار السيدة خديجة وينقلها عن الطبري وصاحب كتاب الجامع اللطيف حيث يقول : « إن هذه الدار هي أفضل الأماكن في مكة المكرمة بعد المسجد الحرام » [4].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص141-142.

[2] المصدر نفسه ،ص142.

[3] بحار الأنوار، ج43، ص53-54، وكتاب الخلاف للشيخ الطوسي، ج3، ص189، مختلف الشيعة للعلامة الحلي، ج5، ص60، وجواهر الكلام، ج22، ص352.

[4] الزهور المقتطفة من تاريخ مكة لمؤلفه تقي الدين السبكي، ص122، طبعة دار صادر، الجامع اللطيف، ص328.

د. **جبل الرحمة:**

« إن جبل الرحمة هو جبل عرفة أو عرفات، وهناك من قال بأنه جبل صغير بأعلى ووسط عرفات، وهو عبارة عن الصخرات الكبار التي خطب بقربها النبي محمد، ﷺ،في حجة الوداع » [1].

ويقول ابن جبير: « وجبل الرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم في وسط البسيط، وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض » [2]،غير أنه لم يتوقف عند هذا بل أكمل يصفه « وفي أعلى الجبل قبة تنسب إلى أم سلمة، رضي الله عنها، ولا يعرف صحة ذلك. و في وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه وحول ذلك المسجد المكرم سطح محدق به فسيح الساحة جميل المنظر، يشرف منه على بسيط عرفات. وفي جهة القبلة منه جدار» [3].

ولجبل الرحمة مكانة عظيمة في الإسلام باعتبار أنّ الحج هو الركن الأخير من أركان الإسلام، وبشعيرة الوقوف بعرفة فقد إكتمل هذا الدين لقوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ ﴾[4]

---

[1] من عرفات إلى مزدلفة، متوفر على: www.alukah.net، اطلع عليه بتاريخ: 2019/12/18 (بتصرف)

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص151.

[3] المصدر نفسه، ص 151.

[4] القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية 3.

وقد شبّه ابن جبير يوم عرفة بيوم الحشر يقول: « فأصبح يوم الجمعة المذكورة في عرفات جمع لا شبيه له إلا الحشر» [1]. نظرا للعدد الهائل من الحجاج.

ويعتبر الرسول، ﷺ، الوقوف بعرفات الحج كله وذلك واضح في قوله عليه السلام: (الحج عرفة، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجّه) [2].

يقول ابن جبير: « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين، وإلى الله عز وجل في الرحمة متضرعين، والتكبير قد علا، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع فما رؤي يوم أكثر مدامع، ولا قلوبا خواشع ولا أعناقا حسيبة الله خوانع خواضع من ذلك اليوم، فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تلفح وجوههم إلى أن سقط قرصها وتمكّن وقت المغرب » [3].

نظرا لهذا القول نقول ما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان فقد أحسنوا إلى الله بالتضرع وأحسن إليهم بالمغفرة ونعيم الجنة في الآخرة .

1-2-2- المدينة المنورة أو المدينة النبوية:

دار هجرة رسول الله،ﷺ، وهي طيّبة ومدينة مباركة، اُختّصت بفضائل كثيرة وميّزها الله عز وجل عن جميع بقاع الأرض بعد مكة المكرمة بميزات منها:

- أنّها مدينة محرّمة وجاء دليل حرمتها في قوله ﷺ: (اللهم إن إبراهيم حرّم مكة فجعلها حرما،وإنّي حرّمت المدينة حراما ما بين مأزميها، أن لا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلاّ لعلق) [4].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص152.

[2] رواه ابن حزم، في حجة الوداع، عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي، الصفحة أو الرقم : 176، إسناده متصل صحيح.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 152-153.

[4] رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري، الصفحة أو الرقم: 1374، حديث صحيح.

- أنّها مدينة حبيبة إلى قلب رسولنا الكريم، عليه الصلاة والسلام، لقوله: (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) [1]. يشير هذا الحديث النبوي الشريف إلى المكانة الرفيعة التي تحظى بها المدينة النورة عند رسول الله ﷺ وقدسيتها متساوية عندها كقدسية مكة المكرمة .
- أنّها مدينة معصومة من المسيح الدّجال لقوله،ﷺ،(لا يدخل المدينة رعب المسيح الدّجال، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان) [2]،في هذا الحديث النبوي إشارة إلى حماية الله للمدينة المنوّرة من فتنة المسيح الدّجال،و إشراف الملائكة على أبوابها الشريفة .
- أنّها أرض مباركة في الأرض والثمار بالإضافة إلى احتوائها على أماكن تاريخية و مقدّسة كالمسجد النبوي الشريف،و الروضة الشريفة المباركة، وجبل أُحد وبقيع الغرقد و بالمأكولات اللذيذة و الشافية من الأمراض كتمر العجوة الذي يقي من السّم والسّحر.

وتطرق ابن جبير في هذه الرحلة بالوقوف عند هذه الأماكن وانبهاره بها بكل ماتحمله معنى الكلمة، فهي تحكي بطولات وقصص التاريخ الإسلامي وعبقه الطيّب في كل شبر من هذه المدينة المباركة.

أ. **المسجد النبوي الشريف:**

يعد ثاني أقدس مسجد في الإسلام ومن المساجد التي تشدّ إليها الرّحال لقوله،ﷺ :(لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد :مسجد الحرام،ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا) [3]ولا يمكن لأيّ زائر يزور البقاع المقدّسة دون أن يمرّ عليه يقول ابن جبير: « وفي يوم الاثنين الثالث عشر منه، دخلنا مولد النبي،ﷺ، وهو مسجد حفيل البنيان، وكان دارا لعبد الله بن عبد المطلب، أبي النبي ﷺ » [4].

---

[1] رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم: 7133، حديث صحيح.

[2] رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أبي بكرة، الصفحة أو الرقم: 7125، حديث صحيح.

[3] صحيح البخاري، حديث رقم: 1995.

[4] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص141.

ثم أخذ ابن جبير يقول واصفا في جمال المسجد النبوي الشريف: « في وسطه رخامة خضراء، سعتها ثلثا شبر مطوّقة بالفضة فتكون سعتها مع الفضة المتّصلة بها شبرا » [1]. ويكمل الوصف في موضع آخر فيقول: «...وبإزائه محراب حفيل القرنصة مرسومه طرته بالذهب » [2].

وللمسجد النبوي الشريف مكانة عظيمة عند الله تعالى و نبيّه ﷺ،فالصلاة فيه تعدل 1000 صلاة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: (صلاة في مسجدي هذا، خير من ألف صلاة في غيره من المساجد، إلاّ المسجد الحرام) [3].

كما اعتبر الرسول، ﷺ ، أنّ من جاءه بهدف التعلّم فهو كالمجاهد في سبيل الله ، قال النبي محمد ، ﷺ : (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاّ لخير يتعلّمه أو يُعلّمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله، ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره) [4].

في كل الأحاديث النبوية الشريفة السابقة إشارة إلى منزلة المسجد النبوي الشريف الذي قدّسه الله عنده وعند نبيّه، ﷺ. ولم يقف ابن جبير عند وصف المسجد النبوي الشريف بل تشرّف بزيارة الروضة النبوية الشريفة والتمتّع بجمالها.

ب. **الروضة الشريفة:**

الروضة المباركة هي موضع في المسجد النبوي واقع بين المنبر وحجرة النبي محمد،ﷺ، وتعتبر محلّ تنافس بين المصلّين لقول ابن جبير: « وفي هذه الروضة يتزاحم الناس للصلاة، وحق لهم ذلك » [5].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص141.

[2] المصدر نفسه ، ص141.

[3] صحيح مسلم، حديث رقم: 1394.

[4] الترغيب والترهيب، المنذري، عن أبي هريرة، حديث رقم: 1/84، وصححه الألباني.

[5] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص170.

وإنبهر ابن جبير بجمالها المعماري المتقن وحدّد مساحة الروضة في قوله : « فجميع سعة الروضة المكرمة من جميع جهاتها مئتا شبر واثنان وسبعون شبرا » [1].

وما لفت انتباه ابن جبير الأنوار والشمع التي في الروضة يقول: « وأمام الروضة المقدّسة أيضا صندوق كبير هو المشمع والأنوار التي توقد أمام الروضة كل ليلة » [2].

وقد جاء في فضلها وبيان منزلتها حديث للرسول ،ﷺ، يقول فيه : (مابين بيتي ومنبري روضة من ريّاض الجنة) [3].

إعتبر الرسول ، ﷺ ، الروضة الشريفة في هذا الحديث الشريف روضة من ريّاض الجنة، وبعد فراغه من هذا كله إنطلق ابن جبير في زيارة لبقيع الغرقد وشهدائه الأبرار.

ج. بقيع الغرقد :

هي المقبرة الرئيسية لأهل المدينة المنوّرة منذ عهد الرسول،ﷺ، ومن أقرب الأماكن إلى المسجد النبوي الشريف ، وتضم الآلاف المؤلّفة من أهل المدينة والصحابة الكرام يقول ابن جبير: « ومشاهد هذا البقيع أكثر من أن تحصى لأنه مدفن الجمهور الأعظم من الصحابة المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم أجمعين » [4]. حسب رأي ابن جبير

وحظيت مقبرة البقيع بما لم تحظ به مقبرة أخرى، فقد أراد الله، عز وجل، بأن تكون مقبرة البقيع لأهل المدينة وأمر حبيبه المصطفى،ﷺ ، بالدّعاء والاستغفار لهم،ومن الشهداء نذكر: أم الزبير بن العوّام، وصفيّة عمة النبي ﷺ، و الإمام مالك بن أنس حسب ما ذكره ابن جبير: « وأول ما تلقى عن يسارك عند خروجك، من الباب المذكور، مشهد صفيّة عمة النبي، ﷺ،أم

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 169.

[2] المصدر نفسه ، ص 171.

[3] رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم: 1196، حديث صحيح.

[4] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص174.

الزبير بن العوّام، رضي الله عنه، وأمام هذه التربة قبر مالك بن أنس الإمام المدني» [1]. نستنتج أن هذه المقبرة تضم خيرة الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام .

د. جبل أُحد:

هو أحد الجبال المطلّة على المدينة المنوّرة من الجانب الشمالي منها يقول ابن جبير: « و الجبل جوفي المدينة»[2].

وجبل أُحد أحد الشواهد التاريخية التي تزيد من جمال المدينة المنوّرة الممتلئة بعبق التاريخ الإسلامي ففي يوم أُحد اُستشهد من أصحاب النبي سبعون وقتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وهذا أقرب لقوله تعالى:

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [3].

جبل أُحد بالتحديد يحظى بمكانة كبيرة في قلب رسولنا الكريم، ﷺ، والمسلمين عامة، ومرتبط بشكل خاص ب غزوة أُحد المشهورة، فهو رمز ديني وتاريخي في آن واحد.

1-2-3- المساجد:

لقد أعطى ديننا الحنيف للمساجد أهمية عظيمة، ورتّب ثوابا جزيلا على عمارتها لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾ [4].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص173.

[2] المصدر نفسه ، ص 173.

[3] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 165.

[4] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 18.

ومن المساجد التي تطرّق إليها ابن جبير في رحلته هذه:

أ. مسجد ابن طولون:

« وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبي العبّاس أحمد بن طولون، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصّنعة الواسعة البنيان » [1].

ففي هذا القول يشير ابن جبير إلى موقع مسجد ابن طولون وما شدّ انتباه ابن جبير أنّ سلطان مصر في تلك الفترة ترك أحكام المسجد لأهل الاختصاص ولم يعيّن أحد ينويه يقول ابن جبير : « ومن أعجب ما حدّثنا به أحد المتخصصين منهم أنّ السلطان جعل أحكامهم إليهم ولم يجعل يدًا لأحد عليهم فقدّموا من أنفسهم حاكما يمتثلون أمره و يتحاكمون في طوارئ أمورهم عنده، واِستصحبوا الدّعة والعافية، وتفرغوا لعبادة ربهم » [2].

ب. المسجد الأموي:

جامع بني أميّة الكبير، هو المسجد الذي أمر الوليد بن عبد الملك بتشييده في دمشق يقول ابن جبير: « اِنتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك،رحمه الله ووجّه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بأشخاص اثني عشر ألفا من الصنّاع من بلاده، وتقدّم إليه بالوعيد في ذلك إن توقف عنه . فامتثل أمره مذعنا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التاريخ، فشرع في بنائه »[3].

ويعد رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد مكة والمدينة والمسجد الأقصى يقول ابن جبير : « هو من أشهر جوامع الإسلام حسنا، وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه » [4].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص 26-27.

[3] نفسه، ص235.

[4] نفسه ، ص235.

ويقول أيضا في فضل هذا المسجد ناقلا من الكتب التي قرأها: « وقرأنا في فضائل دمشق عن سفيان الثوري، رضي الله عنه، أنه قال : أن الصلاة فيه بثلاثين ألف صلاة. وفي الحديث عن النبي، ﷺ، أنه يعبد الله عز وجل فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة » [1]. لبيوت الله فضائل لا تعد ولا تحصى على المسلمين أهمها نيل محبة الله .

1-2-4- كنيسة الأنطاكي:

هي كنيسة أرثوذكسية شرقيّة، مقرّها دمشق، وهي مكان مقدّس بالنسبة للمسيحيين، تفحصّها ابن جبير عند زيارته دمشق وما لاحظه الشبه في بعض العادات بين المسلمين والمسيحيين يقول :

« وزيّ النصرانيات في هذه المدينة زيّ نساء المسلمين: فصيحات الألسن، ملتحفات، منقبات، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، وإلتحفن اللّحف الرائقة، وإنتقبن بالنقب الملوّنة، وإنتعلن الأخفاف المذّهبة، وبرزن لكنائسهنا وكنسهنّ حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضّب والتعطّر» [2].

وما أثار دهشة ابن جبير بناءها حيث يقول : « فأبصرنا من بنيانها مرأى يعجز الوصف عنه، ويقع القطع بأنها أعجب مصانع الدنيا المزخرفة جدرها الداخلة ذهب كلّها، وفيها من ألواح الرخام الملوّن ما لم ير مثله قط ، لقد رصّعت كلها بفصوص الذهب » [3].

ومن هنا نقول، « هكذا يشكّل المكان بؤرة التواصل الروحي بينه وبين الإنسان، وبدونه يشعر الإنسان بالفراغ والعدم والضياع والاغتراب » [4]. يتضح لنا من هذا القول بأن المكان بمثابة بطاقة هوية للإنسان واستقرار نفسي له .

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص236.

[2] المصدر نفسه ،ص 307.

[3] نفسه ، ص306.

[4] حسن عليان، تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة، سيرة مدينة وشعب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2012 – 2013 ، ص423.

1-3- جماليات المكان العادي ودلالته:

يعتبر المكان العمود الأساسي للإبداع الأدبي، وهو الدعامة التي ترتكز عليها باقي عناصر السرد كالزمن والحدث والشخصيات، كما يعد المكان مسرحا للأحداث والحيّز الذي يتحرك فيه شخوص الرحلة أو القصة، ويلفت انتباهنا أنّ لكل نص سردي ناجح دلالته المكانية.

أ. **المكان المنطلق : " غرناطة "**

في يوم الخميس الثامن من شوّال سنة 578هـ، قرر ابن جبير رفقة صديقه أحمد بن حسان استكمال دينه بأداء فريضة الحج إلى بيت الله انطلاقا من غرناطة ف غرناطة بالنسبة لابن جبير تمثل عمق الانتماء إلى هذه البقعة الحبيبة، غادرها تاركا وراءه شوقه العريض لها: « فالمكان هو الإطار والوعاء والجسر ومن ثمة تغدو العلاقة معه نفسية معقّدة داخل بؤرة حنينية تروي الأحداث وتلوّنها » [1].

وهكذا كانت غرناطة نقطة البداية وعتبة الانتقال إلى أمكنة أخرى كالأندلس وغيرها من الأماكن،كما أنّها تمثل رغما عنه شطرا من قدره المحتوم.

ب. المكان الواقعي :

هو المكان الذي يخضع لاشتراطات الواقع، وله وجود مماثل نتلمسه بحواسنا الخمسة تقول حفيظة أحمد : « هو المكان الحقيقي الذي يوجد خارج العالم الروائي التخييلي أيّ أنه يوجد في العالم المعيش حيث يطلق عليه النقاد مسميات عديدة منها : المكان الموضوعي، والمكان

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي ، ص 346.

الخارجي، والمكان الطبيعي، والمكان المرجعي، وغير ذلك من المسمّيات التي تدل على أنه موجود خارج الخطاب الروائي في الواقع المعيش»[1].

وذكر ابن جبير العديد من الأمكنة التاريخية والواقعية يقول عن مدينة دمشق : « جنة المشرق، ومطلع حسنه المؤنق المشرق،وهي خاتمة بلاد الإسلام التي اِستقريناها،وعروس المدن،قد تحلت بأزاهير الرياحين ، وتجلّت في حلل سندسية من البساتين ، وحلّت من موضوع الحسن بالمكان المكين »[2].

- **مدينة أطرابنش:** من جزيرة صقليّة يقول: «هي مدينة صغيرة السّاحة، غير كبيرة المساحة، مسوّرة بيضاء كالحمامة، مرساها من أحسن المراسي و أوفقها للمراكب، ولذلك يقصد الروم كثيرا إليها ولا سيّما المقلعون إلى بر العدوة، فإنّ بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة »[3].
- **مدينة جدّة:** يقول ابن جبير«وجدّة هذه قرية على ساحل البحر المذكور أكثر بيوتها أخصاص، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطّين وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف »[4]
- **مدينة الكوفة:** يقول: «هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد اِستولى الخراب على أكثرها، فالغامر منها أكثر من العامر، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضربها»[5].

---

[1] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية، مركز اوغاريت الثقافي، فلسطين، ط1، 2007، ص122.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص234.

[3] المصدر نفسه ، ص308.

[4] نفسه ، ص35.

[5] نفسه ، ص187.

❖ **مدينة الحلّة:** يقول ابن جبير: « هي مدينة كبيرة عتيقة الوضع، مستطيلة، لم يبق من سورها إلا حلق من جدار ترابي مستدير بها. وهي على شطّ الفرات، يتصل بها من جانبها الشرقيّ ويمتد بطولها، ولهذه المدينة أسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنيّة والصناعات الضرورية»[1].

❖ **مدينة بغداد:**« هذه المدينة العتيقة، وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الإمامية القُرشية الهاشمية، قد ذهب أكثر رسمها، ولم يبق منها إلاّ شهير اسمها » [2].

❖ **مدينة تكريكت:** يقول ابن جبير في وصفها « هي مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، فسيحة السّاحة، حفيلة الأسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالحلق، أهلها أحسن أخلاقا وقسطا من الموازين من أهل بغداد، ودجلة منها في جوفيها، ولها قلعة حصينة على الشطّ هي قصبتها المنيعة، ويطيف بالبلد سور قد أثر الوهن فيه وهي من المدن العتيقة المذكورة »[3].

❖ **مدينة الموصل:** يقول ابن جبير في مقدّمتها : « هذه المدينة عتيقة ضخمة،حصينة فخمة،قد طالت صحبتها الزمن، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن، قد كادت أبراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض، وبطن الداخل منها بيوت،بعضها على بعض » [4].

❖ **مدينة نصيبين:** يقول ابن جبير: « شهيرة العتاقة والقدم، ظاهرها شباب، وباطنها هرم، جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصغر، يمتّد أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر،قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه » [5].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 189.

[2] المصدر نفسه ، ص 193

[3] نفسه، ص 208.

[4] نفسه، ص 210.

[5] نفسه ،ص 214.

« فرحم الله أبا نوّاس الحسن بن هانئ حيث يقول:

طابت نصيبين لي يوما فطبت لها يا ليت حظي من الدنيا نصيبين » [1].

❖ **مدينة دنيصر:** يقول في تعريفه : « هي في بسيط من الأرض فسيح، وحولها بساتين الرياحين والخضر،تسقى بالسواقي، وهي مائلة الطبع إلى البادية، ولا سور لها، وهي مشحونة بشرا، ولها الأسواق الحفيلة، والأرزاق الواسعة » [2].

❖ **مدينة رأس العين:**« هذا الاسم لها من أصدق الصفات وموضوعها به أشرف الموضوعات، وذلك أنّ الله تعالى فجّر آرضها عيونا وأجراها ماءً معينا»[3].

❖ **مدينة منبج** : « بلدة فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، يحفّ بها سور عتيق ممتد الغاية والانتهاء، جوها صقيل ومجتلاها جميل»[4].

❖ **بلدة بزاعة** : يقول ابن جبير عن هذه البلدة أنها « بقعة طيّبة الثّرى، واسعة الذرى، تصغر عن المدن وتكبر عن القرى، بها سوق تجمع بين المرافق السفرية، والمتاجر الحضرية»[5].

❖ **مدينة حلب:** يقول ابن جبير عنها: « بلدة قدرها خطير، وذكرها في كل زمان بطير، خطابها من الملوك كثير، ومحلّها من التقديس أثير»[6].

❖ **مدينة حران:** اسمها مشتّق منه هواؤه كما يقول ابن جبير: « قد أُشتّق من اسمه هواؤه، فلا يألف البرد ماؤه » [7]. ويقول في موضع آخر « كفى بهذا البلد شرفا وفضلا أنّه البلدة العتيقة

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 214.

[2] المصدر نفسه ، ص216.

[3] نفسه، ص218.

[4] نفسه، ص223.

[5] نفسه، ص224.

[6] نفسه، ص225.

[7] نفسه، ص219.

العتيقة المنسوبة لأبينا إبراهيم، ﷺ، وله بقبليتها بنحو ثلاثة فراسخ مشهد مبارك فيه عين جارية كان مأوى له ولسارة، صلوات الله عليهما» [1].

- **مدينة حماة:** يقول عنها ابن جبير: « مدينة شهيرة في البلدان، قديمة الصحبة للزمان، غير فسيحة الفناء، ولا رائقة البناء، أقطارها مضمونة، وديارها مركومة»[2].
- **مدينة حمص:** يقول في تعريفها:« هي فسيحة السّاحة، مستطيلة المساحة، نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة »[3].
- **مدينة بانياس:** « هذه المدينة ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة، ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر ويفضي إلى أحد أبواب المدينة » [4].
- **عكّة وصور:** يقول ابن جبير: « وهاتان المدينتان، عكة وصور، لا بساتين حولهما، وإنّما هما في بسيط من الأرض أفيح متّصل بسيف البحر، والفواكه تجلب إليهما من بساتينهما التي بالقرب منهما،ولهما عمالة متّسعة »[5].
- **مدينة مسينة:** من جزيرة صقليّة يقول ابن جبير « هذه المدينة موسم تجار الكفار، ومقصد جواري البحر من جميع الأقطار، كثيرة الأرفاق برخاء الأسعار،مظلمة الآفاق بالكفر لا يقرّ فيها لمسلم قرار» [6].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص220.

[2] المصدر نفسه ، ص230.

[3] نفسه ،ص231.

[4] نفسه، ص273.

[5] نفسه، ص283.

[6] نفسه، ص296.

❖ **مدينة شفلودي** يقول ابن جبير عنها: « هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب، واسعة المرافق، منتظمة أشجار الأعناب وغيرها، مرتّبة الأسواق » [1].

❖ **مدينة ثرمة** : يقول ابن جبير عنها :« هي أحسن من التي تقدّم ذكرها، وهي حصينة، تركب البحر وتشرف عليه »[2]. من خلال هذه الرحلة الأدبية نقل ابن جبير للقارئ تفاصيل المكان الواقعي وعرفه عليه .

ج. **الأماكن المغلقة:**

المكان المغلوق هو الذي تحدّه الجدران من جهاته الأربعة والسقوف، كما يقصد بالمكان المغلق « الحيّز الذي يحوي حدود مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح » [3].

وفي رحلة ابن جبير العديد من مثيل هذه الأمكنة:

❖ **الحمامات:** توقف ابن جبير عندها بقوله : « وأمّا حمّاماتها فلا تحصى عدة، ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنّها بين الشرقيّة والغربية نحو الألفي حمام»[4].

❖ **المدارس والمارستانات:** يقول ابن جبير: « والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلاّ وهي القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية... ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلّد» [5] ويقول في موضع آخر :« وممّا

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 301.

[2] المصدر نفسه ، ص 302.

[3] أوريد عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية، (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص59.

[4] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص204.

[5] المصدر نفسه، ص205.

شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة .وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا أبرزه لهذه الفضيلة تاجرا واحتسابا وعين قيما من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكّنه من اِستعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها»[1].

❖ **مستشفى المجانين:** يقول ابن جبير :« ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتّخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى وبين يدي ذلك خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشيّة، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم. وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى»[2].

❖ **المركب الشراعي** : صادف هذا المركب ابن جبير يقول : « صعدنا إلى المركب ، وهو سفينة من السفن الكبار، بمنة الله على المسلمين بالماء والزّاد ، وحاز المسلمون مواضعهم بإنفراد عن الإفرنج » [3].

❖ **القصر الأبيض:** وهو قصر يملكه " الملك غليام" يقول عنه ابن جبير: « وله بمسينة قصر أبيض كالحمامة مطّل على ساحل البحر وهو كثير الاتخاذ للفتيان والجواري وليس في ملوك النصارى أترف في الملك ولا أنعم ولا أرفه منه»[4].

❖ **قلعة القاهرة** : فهذه القلعة كغيرها من الأماكن التي تفحّصها ابن جبير يقول عنها : « وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتّصل بالقاهرة حصين المنعة » [5].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص26.

[2] المصدر نفسه ، ص26.

[3] نفسه، ص283.

[4] نفسه ،ص298.

[5] نفسه ، ص25.

❖ **البيت:** يعتبر البيت حضن الإنسان الأوّل وكان له حظه من الدراسة عند ابن جبير، فهو بمثابة ملجأ اتّجه إليه وأصحابه أثناء رحلتهم يقول عنه:« أثر لبنيان قديم ذكر لنا أنه كان منزلا لليهود فيما سلف » [1]، ويقول في موضع آخر عن بيت الرجل الحبوشاني « المذكور تبركا بدعائه لأنه قد كان ذكر لنا المرهب الأندلس، فألفيناه في مسجده بالقاهرة وفي البيت الذي يسكنه داخل المسجد المذكور، وهو بيت ضيّق الفناء » [2].

❖ **الفندق:** الفندق في رحلة ابن جبير يمثل له الراحة والسكينة ونال أيضا حظّه في الكتابة عنده يقول: « وكان نزولنا بها بفندق الصفارة بمقربة من الصبانة » [3]. من خلال ذكره للأماكن المغلقة نلاحظ تأثر نفسيته بها .

د. الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح هو المكان الذي لا تحدّه الحدود من أبعاده الأربعة ولاسيّما السقوف يقول " أحمد بورايو" هو : « الحيّز المكاني الذي يحتضن نوعيات مختلفة من البشر وأشكال متنوّعة من الأحداث الروائية » [4]:

❖ **سوق المسجد الحرام:** لقد أُعجب ابن جبير بهذا السوق الكبير قال فيه: « سوقا عظيمة يباع فيه من الدقيق إلى العقيق، ومن البرّ إلى الدّر، إلى غير ذلك من السّلع . فكان مبيع الدقيق بدار النّدوة إلى جهة باب بني شيبة »[5].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص09.

[2] المصدر نفسه ص 23.

[3] نفسه ، ص12.

[4] أحمد بورايو، منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة)، منشورات السهم، الجزائر العاصمة، 2009، ص180.

[5] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص160.

❖ **بحر فرعون:** لقد غامر ابن جبير وركب هذا البحر يقول في رحلته: « وأقمنا ليلتنا تلك في هول يؤذن باليأس، وأرانا بحر فرعون بعض أهواله الموصوفة، إلى أن أتى الله بالفرج مقترنا مع الصيّاح » [1].

❖ **جبل لبنان:** يقول ابن جبير: « وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا، فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطّردة والظلال الوارفة وقلّما يخلو من التبتيل والزهادة » [2].

❖ **القرية:** تطرّق ابن جبير في رحلته إلى العديد من الأمكنة وفي طريقه مرّ بالقرية يقول : « ...ثم منه إلى سلبر ثم منه على حضن أركش ثم منه قرية تعرف بقرية القشمة من قرى مدينة ابن السّليم ثم منها إلى جزيرة طريف، وذلك يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المؤرخ » [3].

❖ **الوطن:** الوطن هو بيت الشعوب عبر التاريخ، وبمثابة بطاقة تعريف لكل إنسان على وجه الأرض، وابن جبير في هذه الرحلة يحنّ للعودة إلى وطنه بخير وسلام يقول: « وهو سبحانه المسؤول بتميم النعمة علينا ببلوغ الغرض من المقصود وتعجيل الإيّاب إلى الوطن على خير وعافية، إنّه المنعم بذلك لا ربّ سواه » [4]. نلاحظ تغير نفسية ابن جبير وانشراحها من خلال زيارته للأماكن المفتوحة .

2. الزمن:

2-1- المفهوم :

أ. المفهوم اللغوي :

---

[1] المصدر نفسه ،ص50.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص260.

[3] المصدر نفسه ، ص08.

[4] نفسه ، ص12.

جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ « الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيرة في المحكم الزمن والزمان هو العصر وجمع لكلمة أزمن، وأزمان، وأزمنة، وزمن زامن، وأزمن الشيء طال عليه الزمان والاسم في ذلك الزمن والزمنة ... وأزمن واحد زمان الرّطب والفاكهة، وزمان الحرّ والبرد ويكون الزمان أحد شهرين إلى ستة أشهر» [1].

وقال ابن منظور : « الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة، وعلى مدّة الدنيا كلّها والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه »[2].

ب. المفهوم الاصطلاحي :

يعد الزمن من بين العناصر الأساسية التي تبنى عليها الرواية إذ يستحيل علينا إيجاد فعل سردي معزول عن الزمن لكونه يكتسب معاني مختلفة « ولأنّه يأخذ أبعاد شتّى في مختلف المجالات الاجتماعية، والنفسية والعلمية...» [3].

أمّا في القرآن الكريم فلم يرد لفظة الزمان، وإنّما وردت ألفاظ تدل على معناه كالأبد والأجل والأصيل والأمس والحين والدّهر والساعة والوقت... فالزمن يمثل الحياة التي يعيشها كل فرد منا منذ ولادته إلى غاية وفاته، يتغيّر كونه يتجسد في دورات متعاقبة الأحداث كالليل والنهار، والفصول الأربعة، فالزمن موجود ويمتاز بالاستمرارية نظرا لدوام النشاط والفعل والحركة فهو بحركيّته التي تتقدم دوما لا يعود أبدا، وهو مايقصد به الوقت الذي نقيسه بواسطة السّاعة ويسمى بالزمن الموضوعي أو الزمن الخارجي.

---

[1] ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج13، صادر بيروت، 1992، ط1، ص192.

[2] المصدر نفسه، ص192.

[3] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ط1، ص16.

2-2- أنواع الزمن في رحلة ابن جبير:

2-2-1- الزمن الموضوعي: الخارجي أو الطبيعي :

يتّسم الزمن الطبيعي بحركته المتقدّمة إلى الأمام باتجاه الآتي ولا يعود إلى الوراء أبدا « ويكون متسلسلا ويبدأ من نقطة معيّنة ثم يسير إلى الأمام حتى تنتهي القصة والأحداث تكون مرتّبة بحسب الزمان حدثا بعد آخر دونما ارتداد في الزمان » [1].

ويتجلى هذا النوع من الزمن بصورة واضحة في رحلة ابن جبير حيث يصرّح في مؤلّفه بالأشهر الهجرية ساردا تفاصيل الأحداث التي حدثت في هذه الأشهر ونذكر على سبيل المثال : « شهر ذي الحجة أوله يوم الأحد، ثاني يوم نزولنا بالإسكندرية » [2].

و« شهر صفر،عرّفنا الله يمنه وبركته واِستهلّ هلاله ليلة الأربعاء وهو الخامس والعشرون من شهر مايه، ونحن بقوص نروم السفر إلى عيذاب، يسّر الله علينا مرامنا بمنّه وكرمه » [3].

و« شهر ربيع الأوّل، عرفنا الله بركته، اِستهلّ هلاله ليلة الجمعة الرابع والعشرين من شهر يونيه ونحن بآخر الوضح ... وفي وقت الغداة من يوم الجمعة المذكور كان نزولنا» [4].

و« شهر ربيع الآخر، عرفنا الله بركته اِستهلّ هلاله ليلة السبت ونحن بالجزيرة المذكورة »[5].

---

[1] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص56

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص13.

[3] المصدر نفسه ، ص41.

[4] نفسه، ص14.

[5] نفسه، ص51.

و« شهر جمادى الأولى، عرفنا الله بركته اِستهلّ هلاله ليلة الاثنين الثاني والعشرين لأغشت » [1].

كما ذكر« شهر رجب الفرد، عرّفنا الله بركته ، اِستهلّ هلاله ليلة الخميس الموفي عشرين لشهر أكتوبر » [2].

و« شهر جمادى الآخرة، عرّفنا الله يمنه وبركته اِستهلّ هلاله ليلة الأربعاء، وهو الحادي والعشرون من شهر شتنبر العجميّ، ونحن بالحرم المقدس » [3].

و« شهر شعبان المكرّم، عرّفنا الله بركته اِستهلّ هلاله ليلة السبت التاسع عشر لشهر نونبر» [4]

وذكر ابن جبير أيضا « شهر رمضان المعظّم،عرّفنا الله بركته اِستهلّ هلاله ليلة الاثنين التاسع عشر لدجنبر، عرّفنا الله فضله وحقّه ورزقنا القبول فيه » [5].

و « شهر شوّال، عرفنا الله بركته اِستهلّ هلاله ليلة الثلاثاء السادس عشر من ينير » [6].

و« شهر ذي القعدة اِستهلّ هلاله ليلة الأربعاء، بموافقة الرابع عشر من شهر فبرير، بشهادة ثبتت عند القاضي في رؤيته » [7].

و« شهر ذي الحجة، عرّفنا الله بركته اِستهلّ هلاله ليلة الخميس بموافقة الخامس عشر من مارس » [8].

---

[1] نفسه، ص59.

[2]ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص106.

[3] المصدر نفسه ،ص101.

[4]نفسه ، ص117.

[5] نفسه، ص122.

[6] نفسه، ص123.

[7]نفسه ص140.

[8]نفسه، ص146.

ولم يتوقف ابن جبير فقط عند ذكر الأشهر الهجرية بل ذكر حتى السنوات المتعاقبة وعند هذه الفكرة إستوقفني قول لـ وهيبة بوطغان في قولها أنّ الزمن الموضوعي يتجلّى في « تعاقب الفصول والليل والنهار، وبدء الحياة من الميلاد إلى الموت، فهذه المظاهر كلها تبرز في وجود الأرض المكان، أيّ يتحرك الزمان ويتعاقب مجددا الطبيعة الأرضية نتيجة الحركة » [1].

نستنتج من هذا القول بأن الزمن يطبع إلى الأمام الوراء أبدا.

وابن جبير في هذه الرحلة الأدبية ذكر أيضا حتى السنوات نذكر على سبيل المثال « شهر محرّم سنة تسع وسبعين، عرّفنا الله يمنها وبركتها إستهلّ هلاله ليلة الثلاثاء، وهو اليوم السادس والعشرون من أبريل، ونحن بمصر » [2].

و« شهر محرم سنة ثمانين وخمس مائة، عرّفنا الله بركته وبركة سنّته، وخصّنا فيه برحمته، وتكفّلنا بعصمته إستهلّ هلاله ليلة السبت بموافقة الرابع عشر لشهر أبريل ونحن مقلعون من بدر إلى الصفراء» [3].

و« شهر صفر سنة ثمانين، عرّفنا الله يمنه وبركته هلاله على الكمال من ليلة الاثنين، بموافقة الرابع عشر من مايه، إستهلّ هلاله ونحن على شطّ الفرات بظاهر مدينة الحلة » [4].

و« شهر ربيع الأول من سنة ثمانين، عرّفنا الله بركته إستهلّ هلاله ليلة الثلاثاء، بوافقة الثاني عشر من يونيه، ونحن بالقرية المذكورة، فرحلنا منها سحر يوم الثلاثاء المذكور ووصلنا نصيبين قبل الظهر من اليوم المذكور » [1].

---

[1] وهيبة بوطغان، البنية الزمنية في رواية "سرير الأحلام"، أحلام مستغانمي، 2009/2008، ص37.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص32.

[3] المصدر نفسه ،ص166.

[4] نفسه ، ص190.

و « شهر محرم سنة إحدى وثمانين،عرّفنا الله بركتها بمنّه غم هلاله علينا فحسبناه على الكمال من ليلة الخميس الرابع لشهر أبريل ، عرفنا الله بركة هذه السّنة ويمنها ورزقنا خيرها ووقانا شرها » [2]، إذن الزمن الطبيعي هو زمن غير متناهي الوجود ويسير دائما نحو الأمام .

- **أهمية الزمن الطبيعي في رحلة ابن جبير:**

يتجلى الزمن الطبيعي في عناصر الرحلة كافة، وتظهر آثاره واضحة، على ملامح الشخصيات، وطبائعها وسلوكها " خصوصا الشخصية البطلة "، فالأحداث التي يسردها الرّحالة والشخصيات التي اِلتقاها في رحلته، كلها تتحرك في زمن محدّد يقاس بالساعات والأيام والشهور والسنين،مما يعني أنّه زمن تصاعدي، يفرض عرض الأحداث وفق تسلسلها الزمني المنطقي الطبيعي.

2-2-2- الزمن الوصفي:

الزمن الوصفي « هو إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنية للقارئ على زمن الحالة البدئية الوصفية للشخصيات العوامل » [3].

ولهذا النوع من الزمن حضور مكثّف في الأعمال الأدبية عموما وفي النصوص الرحلية خصوصا لأنّ الزمن هاهنا يرتبط بالحدث و بالشخصية، وبظروف الرحلة ككل، وقد لجأ ابن جبير إلى توظيف الزمن الوصفي وهو ينقل ظاهرة الكسوف والخسوف الطبيعية يقول : « وفي سحر يوم الخميس الثالث عشر منه، وهو أوّل يوم من دجنبر، بعد طلوع الفجر، كسف القمر، وبدأ الكسوف

---

[1] نفسه، ص214.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص318.

[3] عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس، علم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 142.

والنّاس في صلاة الصبح في الحرم الشريف، وغاب مكسوف، وانتهى الكسوف إلى ثلثيه، والله يعرّفنا حقيقة الاعتبار بآياته » [1].

ففي هذا القول يجسّد لنا الصورة التي يريد إيصالها إلى ذهن القارئ أو المتلقي تتوسّطها اللحظة الزمنية، ويقول ابن جبير في موضع آخر واصفا مسيرة الحجّاج في أداء العمرة « وفي يوم الجمعة السادس عشر منه خرجت قافلة كبيرة من الحّاج في نحو أربع مئة جمل مع التشريف الدّاودي إلى زيارة الرسول،ﷺ . وفي جمادى الثانية قبله كانت أيضا زيارة أخرى لبعض الحجّاج في قافلة أصغر من هذه المذكورة، وبقيت الزيارة الشوّالية، والتي مع الحاج العراقي إثر الوقفة، إن شاء الله عزّ وجلّ . وفي التاسع عشر من شعبان كان انصراف هذه القافلة الكبيرة في كشف السلامة والحمد لله » [2].

من خلال هذا المشهد أعطى ابن جبير للقارئ صورة عن الزمن الحياتي لهؤلاء الحجّاج خلال موسم العمرة، كما حمّل للزمن عبء الأحداث والأشياء، وليس بوسع الرّحالة أن يقيّد الزمن، وإن يبدو متحكّما في مدده « فالزمن شبح وهمي يقتضي آثارنا حيثما وضعنا الخطى بل حيثما نكون وتحت أيّ شكل » [3].

من هذا القول نستنتج بأنّ الزمن هو الحياة لأنّه لصيق بنا ويقتفي آثارنا تحت أيّ مسمى ، ويساهم الزمن الوصفي في رسم الشخصية وتنظيم عملها يقول ابن جبير واصفا غلاما واجتهاده في

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ، ص117.

[2] المصدر نفسه ، ص114.

[3] نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، سليمان فياض نموذجا، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص155.

شهر رمضان : « وكان المختتم فيها أحد أبناء المكيّين ذوي اليسار، غلاما لم يبلغ سنّه الخمس عشرة سنة، فاحتفل أبوه لهذه الليلة احتفالا بديعا » [1].

من هذا القول نلاحظ أن الزمن الوصفي أبرز في إظهار شخصيّة الغلام وأهمية عملها الديني فالإحساس بالزمن مرتبط دائما بالظروف النفسيّة المحيطة بالإنسان .

ويقول ابن جبير من موضع آخر واصفا أجواء فرح ثبوت رؤية الهلال : « وفي تلك الليلة ملئ المسجد الحرام كله سرجا فتلألأ نورا . وعند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير أمر بضرب الطبول والدبادب والبوقات إشعارا بأنّها ليلة الموسم فلما كانت صبيحة ليلة الخميس خرج إلى العمرة في احتفال لم يسمع بمثله انحشد له أهل مكة على بكرة أبيهم،فخرجوا على مراتبهم قبيلة قبيلة وحارة حارة شاكّين في الأسلحة فرسانا ورجالة » [2].

إستطاع ابن جبير من خلال هذا القول أن يبيّن لنا كيفية تدرّج الزمن الوصفي في ذكر تحضيرات هذا الفرح الديني وانعكاسه على الأمير.

- **أهمية الزمن الوصفي في رحلة ابن جبير:**

يتجلى الزمن الوصفي في هذه الرحلة الأدبية بأنّه يمنح قارئه إمكانية تمثيل أمر معيّن: كالشخصيات أو الأمكنة أو مناسبات باختلاف أنواعها، فيكشف لنا خصائص الشيء أو الشخص، ويؤطّر صورته وفقا للمكان الموجود فيه وبهذا نقول بأنّ الزمن الوصفي بمثابة وسيلة تعبيرية تنبثق عن الشخوص والأماكن والأشياء والحالات والمواقف حول موضوع ما .

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص127.

[2] المصدر نفسه ،ص108.

2-2-3-الزمن التاريخي:

الزمن التاريخي « وهي المرحلة التاريخيّة التي جرت فيها الأحداث المقدّمة روائيا، كما يقصد بالزمن التاريخي، الزمن الذي يتّخذ التاريخ موضوعا للحكي » [1].

وابن جبير في رحلته اِستطاع تجسيد هذا النوع من الزمن من خلال نقل بعض الأحداث التي جرت في عهد صلاح الدين الأيوبي يقول: « ومن مفاخر هذا السلطان المزلفة ... إزالته رسم الكسّ المضروب وظيفة على الحجّاج مدة دولة العبيدين فكان الحجّاج يلاقون من الضغط في استيدانها عننا مجحفا ويسامون فيها خطة خسف باهظة » [2].

من خلال هذا القول نستطيع أن نقول بأنّ صلاح الدين الأيوبي بحنكته اِستطاع أن يخفّف من هموم الحجّاج بهذا القرار.

ويكمل ابن جبير في ذات السيّاق بقوله : « وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته أو لا نفقة عنده فيلزم أداء الضريبة المعلومة، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر دينارا مؤمّنة على كل رأس ويعجز عن ذلك، فيتناول بأليم العذاب بعيذاب فكانت كاسمها مفتوحة العين » [3].

وتطرق ابن جبير أيضا في هذه الرحلة إلى الحرب واتفاق النصارى مع المسلمين في عهد صلاح الدين الأيوبي يقول : « ومن أعجب ما يحدّث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين

---

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط3، 2006، ص42.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 30.

[3] المصدر نفسه ، ص 30-31.

مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم » [1].

في هذا المقطع إشارة إلى الخلاف بين الفئتين مسلمين ونصارى ثم يتابع ابن جبير في موضع آخر موقف صلاح الدين من هذا كله : « شاهدنا في هذا الوقت،الذي هو شهر جمادى الأولى، من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، وهو من أعظم حصون النصارى، وهو المعترض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البّر، بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشف قليلا وهو مرارة أرض فلسطين، وله نظر عظيم الاتساع متّصل العمارة، يذكر أنّه ينتهي إلى أربع مئة قرية، فنازله هذا السلطان وضيّق عليه وطال حصاره »[2].

وأشار أيضا إلى « اختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع » [3].

و« اختلاف المسلمين من دمشق إلى عكة كذلك » [4]. نلاحظ أن ابن جبير اهتم بذكر الوقائع التاريخية التي سجلها التاريخ .

تمكّن ابن جبير أن يتّخذ من الموضوعية التاريخيّة خلفية للأحداث حتى يعطي للحدث التّاريخي طعمه، ولم يقم أيضا بتعطيل جماليته الفنّية وفي صدد هذه الفكرة يقول حسن البحراوي : « الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد أن تتلاءم في البناء الروائي تتابعيا » [5].

أما بالنسبة للمواقف الصعبة التي رصدها ابن جبير في رحلته تلك التي تتحدث عن أسرى المسلمين يقول :« ومن الفجائع التي يعانيها من حلّ بلادهم أسرى المسلمين، يرمقون في القيود،

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص260.

[2] المصدر نفسه ،ص260.

[3] نفسه، ص260.

[4] نفسه، ص 260.

[5] حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1900، ط1، ص112.

ويصرفون في الخدمة الشّاقة تصريف العبيد، والأسيرات كذلك، في أسوقهن خلاخيل الحديد، فتفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئا » [1].

ويذكر في موقف آخر الشيّع الذين يقومون بإستغلال الحجّاج وتصدّي صلاح الدين لهؤلاء الانتهازيين يقول: « وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيّع لا دين لهم قد تفّرقوا على مذاهب شتّى . وهم يعتقدون في الحّاج مالا يعتقد في أهل الذّمة، قد صيّروهم من أعظم غلاّنهم التي يستغلونها : ينتهبونهم إنتهابا، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا فالحّاج معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييّسر الله رجوعه إلى وطنه. ولولا ما تلاقى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده، ولا يلين شديدة » [2].

إذن نجد في الواقع أنّ الاقتراب التّاريخي فنيا يخضع لمبدأ الانتقائية، لأنّ التاريخ هو عبارة عن جملة من الأحداث لا تحمل قيمة فنيّة إيديولوجية، والعمل الأدبي هو الذي يغيّر مجراها الأساسي، وتعطي لها قراءة تأويلية للأحداث.

- **أهمية الزمن التاريخي في رحلة ابن جبير :**

تكمن أهمية الزمن التّاريخي في هذه الرحلة في كون الأحداث التّاريخية من أهم العناصر التي يستند عليها أيّ مجتمع في تطوّره أو انحطاطه، فالزمن التّاريخي هو الذي يشهد على الماضي والحاضر وما يمكن أن يكون عليه المستقبل فقد إستطاع ابن جبير من خلال هذا النوع من الزمن أن يقرّب لنا حقيقة الأحداث والوقائع ومدى صحّتها واستلهام القدوات الصالحة التي يبرزها لنا التّاريخ والتي كان لها أثر كبير في تلك الحقبة كصلاح الدين الأيوبي.

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص280.

[2] المصدر نفسه ، ص54.

2-3- البنية الزمانية في رحلة ابن جبير:

2-3-1- المفهوم:

أ. المفهوم اللغوي :

تورد بعض مصادر اللّغة العربية لفظة البنية بمعاني مختلفة، ففي معجم الوسيط : « البنية والبنية فعل: بنى يبني بناءا، وج: أبنية ... بنية الكلمة أيّ صيغتها، كأن بنية الهيئة التي يبنى عليها ... وفلان صحيح البنية، وهي نقيض الهدم » [1].

ب. المفهوم الاصطلاحي :

هي « ترجمة لمجموعة من العلاقات الموجودة بين عناصر مختلفة وعمليات أوليّة تتميز فيما بينها بالتنظيم وتواصل بين عناصرها المختلفة » [2].

ج. المفهوم الديني :

وردت لفظة بنية في عدّة مواضع من القرآن الكريم ففي سورة الصف يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[3].

وكذلك في سورة البقرة يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

---

[1] إبراهيم أنيس وآخران، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص72.

[2] صلاح فضل، نظرية بنائية في النقد الأدبي، دار الأفاق الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 1985، ص122.

[3] القرآن الكريم، سورة الصف، الآية 04.

وصف الله في هذه الآية الكريمة السّماء كأنّها بناء تستفيد منها الأرض والكائنات الحيّة (إنسان، نبات، حيوان) فتتجلى عظيم قدرة الله في خلقه.

أما بالنسبة للفظة زمان فقد سبق التطرق إليها.

و تحتوي الرحلات كغيرها من النصوص على أخبار وحكايات وأحداث وفق تسلسل زمني معيّن فـ « الزمن وعي خفيّ لكنّه متسّلط ومجرّد » [2].

لهذا القول كلمات بسيطة، لكن بمعنى عميق فالزمن متجسّد في حياتنا بجميع مناحيها، غير أنّ دهاءه يكمن في خفاءه.

وتخضع هذه البنية الرّحلية من الناحية الزمنية لشخصية السارد، فهو الذي يعطي الإطار الزمني و المكاني للرحلة، من خلال ما تقوم به هذه الشخصية من أفعال وما تنجزه من أقوال وغيره فهو المتحكّم في الفضاء الزمني و المكاني أيضا، ويقوم ابن جبير بتحديد زمن مناسك الحّج الذي أدّاها بثلاثة مراحل وهي: زمن الانطلاق، زمن الأداء، زمن العودة.

2-3-2- زمن الانطلاق:

يعتبر زمن الانطلاق بالنسبة لابن جبير من بداية « أوّل ساعة من يوم الخميس الثامن لشوّال المذكور وبموافقة اليوم الثالث لشهر فبرير الأعجميّ » [3]، وهو زمن مقدّس لأنّه بنيّة العبادة والتوجّه إلى البقاع المقدّسة لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام .

---

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 22.

[2] شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، تر: لحسن حمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص31.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 07.

2-3-3-زمن الأداء:

نقصد به زمن أداء مناسك الحّج، وهو زمن معروف عند المسلمين يقول الطاهر حسيني : « إن يبتدئ وقت الإحرام للحّج من أوّل فجر يوم عيد الفطر أوّل شوّال ويمتّد لفجر يوم النحر 10 ذي الحجّة، بإفراجه الغاية فمن أحرم قبل فجره بلحظة وهو يعرفه فقد أدرك الحجّة» [1].

في هذا القول تحديد بالتدقيق لوقت الإحرام المقدّس.

ويقول ابن جبير في هذا السيّاق: « فأقمنا بياض يوم الأربعاء المذكور مريحين بالقرين، فلما حان العشيّ رحنا منه محرمين بعمرة، فأسرينا ليلتنا تلك، فكان وصولنا مع الفجر إلى قريب الحرم » [2].

2-3-4-زمن العودة:

بعد الانتهاء من أداء مناسك الحّج لم يذهب ابن جبير إلى غرناطة مكان انطلاقه، بل توجّه إلى مصر ومكث هناك إلى أن توفيّ : « وقد تحوّل في آخر رحلة قام بها إلى مصر و الإسكندرية فأقام يحدث هنالك إلى أن توفيّ » [3].

لقد رأى ابن جبير في مصر مكان اِستقراره وتعلّق قلبه هنالك إلى أن وافته المنيّة.

---

[1] الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، بنائها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014/2013، ص 200.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 58.

[3] المصدر نفسه ،ص 06.

3. الشخصيات:

3-1- المفهوم:

أ. المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب مادة (ش.خ.ص) : « الشّخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشّخص كل جسم له إرتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشخّص يعني اِرتفع، والشّخوص ضد الهبوط، وشخّص ببصره، أيّ رفعه، وشخّص الشّيء عيّنه وميّزه عما سواه » [1].

كما وردت هذه اللفظة في معجم محيط المحيط : « شخّص الشيء عيّنه وميّزه عمّا سواه ومنه تشخيص الأمراض عند الأطباء أيّ تعيينها ومركزها،وأشخصه أزعجه، وأشخص فلان حان سيره وذهابه، وعند الأصمعي: أن الشّخص إنّما يستعمل في بدن الإنسان إن كان قائما لها » [2].

من خلال المفهومين السابقين نلاحظ اشتراكهما في معنى واحد للفظة شخص لأنّها تختزل لنا الصفات الإنسانية، وأنّ الشّخصية هي ما يمتاز به الإنسان عن الآخر من صفات حسنة أو سيئة.

ب. المفهوم الاصطلاحي:

لقد تعددت مفاهيم مصطلح الشخصية بتعدد وجهات نظر النّقاد و الدّارسين لأنّها المحرّك الرئيسي الذي يدفع بتطوّر الأحداث داخل العمل الأدبي و باعتبارها « المحور العام الرئيسي الذي

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش. خ. ص)، مج7، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1992، ص36.

[2] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (دط)، 1998، ص455.

يتكفل بإبراز الحدث، وعليها يكون العبء الأوّل في الإقناع بمدى أهمية القضيّة المثارة في القصّة وقيمتها » [1].

وجاء مفهوم الشخصية بدّقة متميّزة في كتاب نظرية الرواية : « إنّ الشّخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث إنّها هي التي تصطنع اللّغة، وهي التي تبّث أو تستقبل الحوار وهي التي تصطنع المناجاة المونولوج وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصّراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها، وعواطفها » [2].

من هذا القول نستنتج أنّ الشّخصية أداة أساسية وضرورية لأنّها تضع اللّغة والحدث والحوار على حسب عبد المالك مرتاض .

وجاء في تعريف آخر للشّخصية أنّها: « القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السّردي، وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه » [3]. يشير هذا القول إلى المكانة الركيزة التي تحظى بها الشخصية في العمل الأدبي .

ج. المفهوم الديني :

أمّا مفهوم الشّخصية في القرآن الكريم نلاحظ أنّ لفظة شَخَصَ اقترنت بالقرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ ﴾ [4].

---

[1] نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني – دراسة موضوعية وفنية– دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص40.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998، ص91.

[3] جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلس العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد6، 2006، ص195.

[4] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 97.

3-2-أنواع الشخصية وأبعادها:

3-2-1- أنواع الشّخصية

تعدّ الشّخصيات من أهم عناصر الرحلة الأدبية وهي تتنوع في هذا العمل الأدبي:

أ. **الشّخصية الرئيسية:**

وهي الشّخصية التي تتمركز حولها الرحلة، لأنّها هي « التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس بالضرورة أن تكون الشّخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنّها هي الشّخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية » [1].

أيّ أنّها هي الشّخصية التي تحظى بدور كبير في عملية السّرد الرحلي .

وفي تعريف آخر لها يقول شربيط أحمد شربيط هي « الشّخصية الفنيّة التي يصطفيها القّاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، وتتمتع الشّخصية الفنيّة المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي، وحريّة في الحركة داخل مجال النص القصصي » [2].

أيّ أنّ الشّخصية الرئيسية تستأثر اهتمام الرّحالة، خاصة عند محاولتنا فهم العمل الأدبي.

وتتجلى الشّخصية الرئيسية في هذه الرحلة في شخصية ابن جبير أو الشّخصية السّاردة وتظهر في قوله: « وكان نزولنا فيها بدار تعرف بالنسبة إلى الحلال قريبا من الحرم، ومن باب السّدة أحد أبوابه في حجرة كثيرة المرافق المسكنية مشرفة على الحرم وعلى الكعبة المقدّسة » [3].

---

[1] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص131.

[2] شربيط أحمد شربيط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (دط)، 2009، ص45.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص58.

وتظهر أيضا في موضع آخر في دعائه المتمثّل « نسأل الله عزّ وجلّ أن يثبّتنا بالقول الثّابت في الدنيا والآخرة ولا يعدل بنا عن الملّة الحنيفية، وأن يتوفّانا مسلمين، بفضله ورحمته » [1].

وهو شخصية الرّحالة التي تروي أحداث الرحلة.

ب. **الشّخصية الثانوية:**

وهي شخصية تشارك في نموّ الحدث والتي « تساعد الشّخصية الرئيسية في أداء مهمتها وإبراز الحدث » [2].

أيّ أنّ الشّخصية الثانوية هي المساعد الأساسي للشّخصية الرئيسية وتتجلى في شخصيّة أحمد بن حسان : « وكان انفصال أحمد بن حسان ومحمد بن جبير من غرناطة، حرسها الله ، المنيّة الحجازية المباركة ، قرنها الله بالتيسير والتسهيل وتعريف الصنع الجميل » [3].

ج. **الشّخصية المرجعية:**

هي الشّخصية التي تتمتع بخلفية مرجعيّة واقعية معيشة، مستوحاة من الإطار التّاريخي أو الديني أو الاجتماعي كما « تحيل الشّخصية المرجعيّة على الواقع غير النّصي الذي يفرزه السيّاق الاجتماعي أو التّاريخي » [4]. ونرى ابن جبير في رحلته هذه تجسيده لبعض الشّخصيات ذات المرجعيّات المختلفة.

❖ **الشّخصية الدينية:**

- **جمال الدّين** : يقول ابن جبير عن آثاره السنّية : « ومن مفاخره ومناقبه أيضا أنّه جعل مدينة الرسول، ﷺ،تحت سورين عتيقين أنفق فيهما أموالا لا تحصى كثرة . و من أعجب ما وفّقه الله تعالى إليه أنه جدّد أبواب الحرم كلّها » [5].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص281.

[2] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، ص 133.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ، ص07.

[4] رشيد بن مالك، السميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص131.

[5] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص102-103.

- **الحجّاج** : يقول ابن جبير « فكان الحجّاج يلاقون من الضغط في إستيدانها عننا مجحفا ويسامون فيها خطة خسف باهظة » [1]. ويقول في موضع آخر : « فالحّاج معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييّسر الله رجوعه إلى وطنه » [2]. يظهر لنا جليا من هذا القول تاثر ابن جبير بالشخصيات الديية التي تمثل ميوله .

❖ **الشّخصية التّاريخية:**

- **سيف الإسلام** : يقول ابن جبير: « وفي ليلة الثلاثاء الثاني من الشّهر مع العشيّ طاف الأمير مكثر بالبيت مودّ وخرج للقاء الأمير سيف الإسلام طغتكين بن أيّوب أخي صلاح الدين وقد تقدّم الخبر بوروده من مصر منذ مدة ثم تواتر إلى أن صحّ وصوله » [3].
- **الأمير مكثر**: يقول ابن جبير « وفي ضحوة يوم الأربعاء الثالث من الشهر المبارك المذكور بالجمع المكرم فسمعنا دبادب الأمير مكثر وأصوات نساء مكة يولون عليه»[4].
- **صلاح الدين الأيوبي** : يقول ابن جبير:« ومن عدل هذا السلطان وتأمينه للسّبل أنّ الناس في بلاده لا يخلعون لباس اللّيل تصرّفا فيما يعنيهم، ولا يستشعرون لسواده هيبة تثنيهم،على مثل ذلك شاهدنا أحوالهم بمصر والإسكندرية حسبما تقدّم ذكره»[5].

❖ **الشّخصية السياسية:**

- **الملك غليام**: يقول ابن جبير:« هو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله، حتى أنّ النّاظر في مطبخته رجل من المسلمين، وله جملة من العبيد السّود المسلمين» [6].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 30.
[2] المصدر نفسه ، ص 54.
[3] نفسه ، ص 124.
[4] نفسه ، ص124.
[5] نفسه ، ص31.
[6] نفسه، ص 297-298.

- **الأمير العراقي:** يقول ابن جبير:« وفي يوم السبت، يوم النّحر المذكور، سيقت كسوة الكعبة المقدّسة من محلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال » [1].

❖ **الشّخصية الفكرية والثقافية:**

- **صدر الدّين:** يقول ابن جبير:« وقد وقع الإيذان بوصول صدر الدّين رئيس الشافعية الأصبهاني الذي ورث النّباهة والوجاهة في العلم كابرا عن كابر لعقد مجلس وعظ تلك الليلة » [2].

د. **الشّخصية المسطحة:**

هي الشخصية الجاهزة « المكتملة التي تظهر في القصة دون أن يحدث في تكوينها أيّ تغيّر، وإنما يحدث التغيّر في علاقاتها بالشّخصيات الأخرى فحسب، أمّا تصرفاتها فلها دائما طابع واحد » [3].

وعلى سبيل هذه الشّخصيات في الرحلة نذكر:

- **الخاتون بنت الأمير مسعود:** يقول ابن جبير: « ومن عجيب ما شاهدناه من الأمور البديعة، الداخلة مدخل السّمعة والشهرة، أنّ إحدى الخواتين المذكورات، وهي بنت الأمير مسعود المتقدّم ذكرها وذكر أبيها » [4].

3-2-2- أبعاد الشّخصية:

نجد أنّ لأبعاد الشّخصية في العمل الرحلي دورا كبيرا في رسم الشّخصيات و« تبنى الشّخصية اطرادا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصّفات التي تصف بها نفسها » [5].

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير ص 157.

[2] المصدر نفسه ، ص 177.

[3] عزدين اسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط9، 2013، ص108.

[4] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص177.

[5] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص40.

نلاحظ من خلال العمل الذي تقوم به الشّخصية ترتسم أبعادها وصفاتها، وهذه الأبعاد تتلخص في : البعد الجسمي الفيزيولوجي، والبعد النفسي السيكولوجي، والبعد الاجتماعي السيسيولوجي.

أ. **البعد الجسمي أو الجانب الفيزيولوجي :**

« يهتم القّاص في هذا البعد برسم شخصيته من حيث طولها، قصرها، ونحافتها، وبدانتها، ولون بشرتها، والملامح الأخرى المميّزة لها » [1]:

نلاحظ أنّ هذا البعد يهتم بالشّكل الخارجي للشّخصية غير أنّ ابن جبير في هذه الرحلة لم يتطرّق إلى شكله الخارجي وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

- باعتباره الشّخصية السّاردة لأحداث الرحلة وبالتالي اِنصبّ اِهتمامه على نقل تفاصيل الرحلة .
- اهتمامه بمشقة الرحلة ومغامرتها ومواجهته لأمور أكثر أهميّة من مظهره الخارجي.

ب. **البعد النفسي أو السيكولوجي:**

يقوم هذا الجانب « بتصوير الشّخصية من حيث مشاعرها، وعواطفها، وطبائعها، وسلوكها، ومواقفها من القضايا المحيطة بها » [2]

وبالتالي تكون مواصفات الشّخصية من الناحية النّفسية بتصوير مشاعرها وانفعالاتها ويتجلّى هذا البعد في هذه الرحلة بقوله: « ابن جبير قويّ العاطفة الدّينية، يختتم كل كلام بالدّعاء إلى الله تعالى والتوكّل عليه ﷻ » [3].

---

[1] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص 49.

[3] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 6.

من هذا القول يتبيّن لنا أنّ شخصية ابن جبير متديّنة مؤمنة بربها ونفسيّتها عميقة بالتوحيد .

ج. **البعد الاجتماعي:**

يهتم بتصوير الشّخصية من حيث الثقافة، مركزها الاجتماعي، الوسط المعيش فيه كما تمثّل « انتماء الشّخصية إلى طبقة اجتماعية وفي نوع العمل الذي تقوم به في المجتمع، وثقافته ونشاطه وكل ظروفه، التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته،وكذلك دينه وجنسيته وهواياته » [1]. ويجسّد هذا البعد في هذه الرحلة أنّ ابن جبير« كان من علماء الأندلس في الفقه والحديث، وكانت له مشاركة في الآداب. وصفه لسان الدّين بن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة بأنّه كان أديبا بارعا، شاعرا مجيدا، سريّ النّفس، كريم الأخلاق » [2]. يظهر هذا الاقتباس المكانة الاجتماعية الرائقة التي كان يحظى بها ابن جبير .

3-3- وظائف الشّخصية وعلاقتها بالمكوّنات السّردية:

3-3-1- وظائف الشّخصية :

للشّخصية الرحلية عدة وظائف نذكر منها :

أ. **فاعل الحدث:**

إنّ الشّخصية الرئيسية هي المحرّك الأساسي في تحريك الأحداث « فما من حدث أو فعل إلاّ وراءه شخصية تحرّكه ضمن حبكة فنية لتقوية طابع التجسيد الفنّي المتميّز بالقدرة على كشف منح العلاقات » [3]، ويقوم ابن جبير في هذه الرحلة بتحريك الأحداث من خلال وظيفة « قائد

---

[1] عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط4، 2008، ص133.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 05.

[3] أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002، ص02.

الحركة » [1]، ويتجلى ذلك ظاهرا من خلال قوله: « ودخلنا مكّة، حرسها الله، في السّاعة الأولى من يوم الخميس الثالث عشر ربيع المذكور،وهو الرابع من شهر أغشت، على باب العمرة، وكان إسراؤنا تلك الليلة المذكورة، والبدر قد ألقى على البسيطة شعاعه، واللّيل قد كشف عنّا قناعه » [2].

ب. **العنصر التجميلي:**

يلعب هذا العنصر دورا مهما في العمل الأدبي عامة والأدب الرحلي خاصة يقول عامر غرابية: « من النادر أن تخلو الرواية من شخصيّات عديمة الفائدة بالنسبة للحدث، أو لا تملك دلالة خاصة، وهذه الشّخصيات على الرغم أنّها عديمة الفائدة ولا وجود لها على المستوى الفنّي إلاّ أنّها تحتفظ بوظيفة تزويق المهمة لأنّها تتيح للروائي رسم لوحة جميلة ويقدّم في نفس الوقت فكرة عن فنّه » [3].

هذا القول لا يخص الرواية فقط بل يمكن إسقاطه على العمل الرحلي، إذ تضيف لرحلة ابن جبير رونقا جماليا وتزوّقه من خلال لوحة فنّية جمالية أدبية.

ج. **إدراك الآخرين والعالم:**

« تمكّن الشّخصية القارئ من معرفة الآخرين من خلال تصرفات الشّخصية في الرواية وتعاملها مع الأحداث والمشكلات وردود أفعالها تجاه القضايا والشّخصيات الأخرى التي تعترض سبيلها، كما يدرك القارئ من حوله وما يدور من أفكار وتطوّرات من خلال تصوير أعماق الشّخصية الفكرية والنّفسية » [4].

---

[1] عامر غرابية، الشخصية الروائية (وظيفتها، أنواعها، سماتها)، مدونة عامر عربية، إطلالة على الواقع والتحولات، الأردن، (دط) (دت)، ص05.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص58.

[3] عامر غرابية، الشخصية الروائية (وظيفتها، أنواعها، سماتها)، ص05.

[4] المرجع نفسه ص07.

في صدد هذه الفكرة فقد استطاع ابن جبير أن يعرّفنا على الآخرين من خلال عملهم كصلاح الدين الأيّوبي الذي كان منبهرا بعدله واستطاع أيضا أن يقدّم لنا موجزا عن العالم الذي كان يحكمه (مصر، بلاد الحجاز، وتحريره لأرض فلسطين ، ودفاعه عن الحجّاج) يقول ابن جبير: « ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشّام في حروب له هناك مع الإفرنج لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحّاج . فأحقّ بلاد الله بأن يطهّرها السيف ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدّماء المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية لما هم عليه من حل عرى الإسلام واستحلال أموال الحّاج ودمائهم » [1]. لقد كان ابن جبير شديد الانبهار والإعجاب بصلاح الدين الأيوبي وعدله الذي أقامه في البلاد الإسلامية .

3-3-2- علاقة الشّخصية بالمكوّنات السّردية:

إنّ الشّخصية في الرحلة أو في أيّ جنس أدبي تكون « عمودها المتين، وأساسها القويم، بها يبنى الحدث ويعرف، ومنها يفهم الزمان ويكشف، يرى من وجودها المكان، وعلى أساسها تصطرع الأفكار والإيديولوجيات. هي كالهواء للإنسان و كالماء للأسماك، دونها يصبح السّرد أجوفا » [2].

من هذا القول يتّضح لنا أنّ الشّخصية هي المحرّك الأساسي لكافة العناصر السّردية الأخرى من زمان ومكان وحدث.

أ. علاقة الشخصية بالحدث:

إنّ الحدث يساهم في تطوّر الشّخصية للوصول إلى الهدف المنشود إذ يظهر جليّا « الدور الذي يقوم به الحدث في تحديد الفعالية السّردية للشّخصية، فهما عنصران متلازمان لايفترقان في

---

[1] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص55.

[2] نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة سليمان فيضا نموذجا،ص 19.

أيّ نص سردي، ومن الخطأ التفريق بين الشّخصية والحدث، لأنّ الحدث هو الشخصية، وهي تعمل » [1].

ومن هذا القول يتّضح لنا أنّ العلاقة بين الحدث والشّخصية علاقة حتمية ضرورية لا يصلح الواحد منه دون الآخر.

ويتجلّى ذلك ظاهرا في رحلة ابن جبير عند ذكره لأحداث الرحلة وتفاصيلها يقول: « وطرأ علينا من مقابلة البّر في اللّيل هول عظيم، عصم الله بريح أرسلها الله تعالى في الحين من تلقاء البر، فأخرجنا عنه، والحمد لله على ذلك. وقام علينا نوء هال له البحر صبيحة يوم الثلاثاء المذكور، فبقينا متردّدين بسببه حول سردانية إلى يوم الأربعاء بعده » [2].

ويعتبر الحدث « مجموعة من الأفعال والوقائع، مرتّبة ترتيبا سببيا، تدور حول موضوع عام ، وتصوّر الشخصية وتكشف عن أبعادها، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى » [3]. نفهم من هذا القول أنّ الحدث من المفاهيم الأساسية والعمود الفقري في ربط عناصر الرحلة التي تعطيها إطلالتها وحسّها الجمالي.

ب. **علاقة الشّخصية بالمكان:**

الحديث عن المكان في الرحلة هو بمثابة الحديث عن الشّخصية، لأنّه عنصر مهم وخاص في العالم الرحلي باعتبار الشّخصية هي التي تمهّد الطريق للمكان المنشود في الرحلة « فالمكان

---

[1] محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، (دط) (دت)، ص183.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص09.

[3] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص135.

لا يظهر من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه، وليس لديه استقلال إزاء الشّخص الذي يندرج فيه » [1].

ونلاحظ ظهور ذلك جليّا في هذه الرحلة من خلال جولة ابن جبير للأمكنة التي زارها فهو يصوّرها من ناحيته الشّخصية فيقول عن الإسكندرية: « ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه : المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطّب والتعبّد، ينفذون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومدرّسا يعلّمه الفن الذي يريد تعلّمه وإجراء يقوم به في جميع أحواله »[2].

وفي إطار علاقة الإنسان المرتبطة بالمكان ليس فقط من الناحية الجغرافية فحسب،بل تعدّى ذلك ليصبح مرتكزا إنسانيا بامتياز يقول باشلار: « إنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيّز » [3].

وبالتالي نقول بأنّ علاقة الشّخصية بالمكان روحية، لأنّ المكان يحتضن الشّخصية بكل ما أُوتي من قوة حين نشاطها داخل بيئته.

ج. **علاقة الشّخصية بالزمن:**

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص32.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 15.

[3] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 149.

باعتبار أنّ الشّخصية ترتبط بكافة العناصر السّردية فإنّها ترتبط بالزمان أيضا، حيث « ترتبط الشخصية مع الزمن بعلاقة جدلية، يتأثّر كل منها بوجود الآخر، فالزمن يحتوي الإنسان بين قطبيه الميلاد والموت، حيث يولد ويكبر ويمر بمراحل التكوّن مع حركة الزمن » [1].

يتّضح لنا من هذا القول بأنّ الزمن لصيق بالإنسان (الشّخصية) فهي تعيش الحاضر وتتنبأ بالمستقبل، فالشّخصية تتأثّر بالزمن وتؤثّر فيه ففي هذه الرحلة الأدبية استطاع ابن جبير أن يذكر الزمن الذي أخذه في تفحّص الأماكن يقول: « وفي يوم الأربعاء المذكور أجزنا القسم الثاني من النيل في مركب تعدية أيضا بموقع يعرف بدجوة، وذلك وقت الغداة الصغرى. وكان نزولنا في مصر بفندق أبي الثّناء في زقاق القناديل بمقربة من جامع عمرو بن العاص،رضي الله عنه،في حجرة كبيرة على باب الفندق المذكور » [2].

نستنتج أن الشّخصية مكانة هامة في العمل الرّحلي، فهي من الجانب الموضوعي أداة ووسيلة الرّحالة للتعبير عن رؤيته، وهي من الوجهة الفنيّة بمثابة الطاقة الدافعة التي تتحلّق حولها كل عناصر السّرد فالشّخصية عنصر من عناصر الحكاية مصنوع من الكلام، تتشكّل عبر قوس عاطفي يخترق سيّاق الرحلة ويؤطّرها منذ بدايتها إلى آخر عبارة فيها، فهي تقوم بمخاطبة عاطفة ووعي القارئ، وتصدير كم منطقي من المعلومات التي تلمّح إلى سماتها وهواجسها وخلفيّتها المعرفية والوجدانية والتّاريخية والثقافية والعرقية.

---

[1] مهما حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص149.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص19.

الفصل الثاني : جماليات السّرد

1- الوصف

2- التّناص

3- الخصائص الفنيّة للرحلة

1- الوصف:

1-1- المفهوم

نعني بالوصف من الناحية المعجمية « وصف الشيء بحلّيته ونعته"[1] والوصف في اللّغة "هو وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة: حلاّها».[2]

« إنّ الوصف يؤدّي وظيفة هامة ضمن جماليات الخطاب وأسلوبية اللّغة لأنّه يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال أو تمثيله للصّفات المحسوسة للحيّز والأشياء من موجودات ومكوّنات تنتقل من خلال الكلمات إلى ذهن القارئ ليتصوّرها».[3]

الوصف هو « الرسم بالكلام الذي ينقل مشهدا حقيقيا أو خياليا للأحياء أو الأشياء أو الأمكنة بتصوير خارجي أو داخلي من خلال رؤية موضوعيّة أو ذاتيّة أو تأمليّة » [4].

والوصف جزء من منطق الإنسان، لأنّ النّفس محتاجة إلى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديّتها إلى التصوّر في طريق السّمع والبصر والفؤاد[5].

ويذهب النّقاد إلى أنّ الوصف « أسلوب مستقلّ بذاته وأنّه وظيفة زخرفية، فإنّ هذا يجرّد الوصف من وظيفته الفنيّة ينكر التحامه بالعمل الأدبي، لكن الروائيين جعلوا للوصف وظيفة بمنتهى الأهمية

---

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، دار الطبع ،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،2005 ، ص32.

[2]. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، مادة وصف، ط3، دار صادر، بيروت، 1665.

[3]. أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، د/ط، د/ت، ص28.

[4]. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، د/ت، ص371.

[5]. الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 1974، ج3، ص119.

تكمن في الكشف عن الحالة النفسية للشّخصية والإشارة إلى طبعها ومزاجها وإيهام بواقعية الأحداث».[1]

وفي تعريف أحمد الهاشمي للوصف يقول:" الوصف عبارة عن بيان الأمر بإستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة هي:

- الأول: أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزا له عما سواه.
- الثاني: أن يكون ذو طلاوة ورونق.
- الثالث: أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكفي بما كان مناسبا للحال.[2]

أما حنّا الفاخوري، فقد عرّف الوصف بأنه : « تمثيل للأشياء تمثيلا إيجابيا وهو رسم لصورة الأشياء بقلم الفن والحياة.»[3]

1-2- وصف الشخصيات و الأمكنة:

1-1-1. وصف الشخصيات:

نجد ابن جبير يصف الشّخصية بوصف واقعي لهيئة أشخاص موجودة حقيقة على أرض الواقع وليسوا متخيلين من اصطناع الكاتب.

فنجد أنّه يصف شخصية من الشّخصيات وصفا خارجيا لهيئته فيقول:« أبصرنا الخليفة المذكور، وهو أبو العباس أحمد النّاصر لدين الله بن المستضيء بنور الله... وهو في فتاء من سنّه أشقر اللّحية صغيرها كما اجتمع بها وجهه ، حسن الشكل، جميل المنظر، أبيض اللون، معتدل القامة

[1]. عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، د/ت، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص52.
[2].الهاشمي أحمد، جواهر الأدب في أدبيات إنشاء لغة العرب، د/ط، مطبعة السعادة، مصر 1965، ج1، ص326.
[3].الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1986، ص41.

رائق الرواء، سنّه نحو الخامس والعشرين سنة لابسا ثوبا أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوّقة بوبر أسود من الأوبار الغالية...»[1]

فابن جبير رسم الصورة الخارجية للشّخصية بكل مكوّناتها من هندام وشكل ولون وغير ذلك فهو هنا يقوم بوصف دقيق كأنّه مصوّر فوتوغرافي لهذه الشخصية وهو يصف الشخصية وصفا خارجيا تارة ووصفا داخليا تارة أخرى كما في قوله: « وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المجابيب... كاتم إيمانه متمسّك بشريعة الإسلام، وهو كثير الثّقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله...» [2]

وأيضا في قوله: « فرأينا رجل عليه سيّم الصالحين وسمت المحبّين مع طلاقة وبشر، وكرم لقاء وبر، فآنسنا ودعا لنا...» [3]

أي هنا يصف ابن جبير الشّخصية وصفا داخليّا أيّ ما يتعلّق بالصّفات المعنوية التي ترتبط بالأخلاق والتصرفات وغيرها.

كما نجد ذلك الوصف الدّاخلي لأهل مدن منبج في قوله: « وأهلها أهل فضل وخير، سنّيون شافعيّون، وهي مطّهرة بهم من أهل المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة فمعاملاتهم صحيحة وأحوالهم مستقيمة وجادّتهم الواضحة في دينهم من اعتراض البنيات الطريق السليمة » .[4]

فبهذا الوصف الذي قام به ابن جبير جعل القارئ يتخيّل ويتصوّر هذه الشّخصيات وكأنّه شاهدها معه.

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص200.

[2]. المصدر نفسه، ص 299

[3]. نفسه ص 221.

[4]. نفسه ص 222.

نلاحظ أنّ ابن جبير يمتلك حسّا وصفيا دقيقا وعاليا فأكسب رحلته طابعا وبصمة مختلفة من وظائف الوصف رسم وتشخيص الأشياء والأماكن وتوضيح معالمها وحدودها يتّسنى للقارئ تخيّلها وكأنّه يراها، فالوصف هو العامل الرئيسي الذي يرتكز عليه الرّحالة في عمله السّرد، فهو بمثابة الريشة التي تترجم ما شاهده عن ذلك المكان أو ذلك الشّخص وبما أنّ الرحلة جنس أدبي يعتمد على الواقع (الطبيعة) هذا ما زاد الوصف مصداقية وواقعية للنص السّردي.

1-1-2. وصف الأمكنة :

فنجد ابن جبير اِعتمد الوصف الدقيق بتفاصيله للمكان الذي يراه حيث ذكر في المسجد الحرام عدد أبوابه وارتفاعها وأركانه قائلا: « البيت المكرم له أربعة أركان وهو قريب التربيع وأخبرني محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن أنّ ارتفاعه في الهواء من الصّفح الذي يقابل باب الصّفا، وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليماني، تسع وعشرون ذراعا وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب إنصياب السّطح إلى الميزاب».[1]

وكذا وصفه لمكّة المكرّمة فتحدّث عن سحرها وجمالها قائلا: « فهي عروس ليالي العمر، وبكر بنيات الدّهر إلى أن وصلنا في السّاعة المذكورة من اليوم المذكور، حرم الله العظيم ومبوّأ الخليل إبراهيم، فألفينا الكعبة الحرام عروسا مجلوه مزفوفة إلى جنة الرضوان محقوقة بوعود الرحمن».[2]

لقد أبدى ابن جبير في أوصافه حسنا تصويريا متقنا حافلا بالإعجاب والدّهشة فقد قام بوصف المكان بوصف زخرفي بديع في وصفه لعدّة أماكن دينية مقدّسة فذكرنا بعضها فقط للتمثيل، فيأخذ المكان الدّيني بروعته وسحره طابعا مميّزا في رسم لوحة تعجّ بالألوان المملوءة حيويّة ورونقا.

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص52.

[2]. المصدر نفسه، ص 51.

وكذا أبدع ابن جبير في وصفه للمدن التي زارها ومرّ بها قائلا عن مدينة حمص:« هي فسيحة السّاحة، مستطيلة المساحة، نزهة لعين مبصرها من النّظافة والملاحة، موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه، لا يخترقه النسيم بمسراه، يكاد البصر يقف دون منتهاه، أفيح أغبر لا ماء ولا شجر، ولا ظلّ ولا ثمر، فهي تشتكي ضماءها وتسقي على البعد ماءها»[1] .

فورود الأمكنة وكثافتها في الرحلة يخلق فضاء واقعي للرحلة، ونجد في كثير من محطّات الرحلة وصف للمدن والأماكن التي زارها فذكر أيضا جدّة قائلا: « وجدّة هذه قرية على ساحل البحر المذكور أكثر بيوتها أخصاص، وفيه فنادق مبنية بالحجارة والطّين وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف، ولها سطوح يستراح فيها باللّيل من أذى الحر وبهذه القرية آثار قيّمة تدلّ على أنّها كانت مدينة قديمة وبها قبة مشيّدة عتيقة يذكر أنّه كان منزل حواء أم البشر... وبها مسجد مبارك منسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[2].

لقد أعطى ابن جبير بوصفه هذا حقيقة تجعل القارئ يقوم بعملية قياس منطقي، فما دامت هذه المدن والأماكن حقيقية متمثلة على أرض الواقع فإنّ أيضا الأحداث التي ذكرها حقيقية.

أيضا وصفه لمدينة دمشق في قوله: « جنة المشرق ، ومطلع حسنه المؤنّق المشرق وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها ، وعروس المدن التي اجتليناها وقد تحلّت بأزاهير الرياحين، وتجلّت في حلل سندسية من البساتين... وقد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اِشتاقت الظمأ... وقد أحدقت البساتين بها أحداق الهالة بالقمر...» [3]

وقد صوّر الرّحالة ابن جبير في ترحاله كثيرا من الأماكن التي زارها أو مرّ بها وعمد في ذالك إلى النمط التّصوري ومن ذلك الصورة التي رسمها للطريق الرابط بين الحلّة وبغداد، فقال: « والطريق

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 230.

[2]. المصدر نفسه ، ص 45،46.

[3]. نفسه، ص233.

من حلّة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها، في بسائط من الأرض وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من ماء فرات تتسرب بها وتسقيها فمحرثها. لا حدّ لاتساعه و إنفساحه، فالعين في هذه الطريق مسرح انشراح وللنّفس مراح انبساط وإنفساح »[1].

قام ابن جبير بوصف العديد من المدن والطرقات وغيرها وبرع في وصفها فأسلوبه في الوصف مبهر جعل من الرحلة مكانا واقعيّا وساحرا يجول في أنحاءه المتلقي.

فتشترك بذلك المشاهد والمناظر وغيرها في رسم لوحات حسّية ناطقة، والوصف خير معبّر عن ذلك لخلق أثر معين من الإثارة وفسح المجال للخيال التّصوري.

إنّ بناء المكان في الرحلة مرتبط بالواقع أيّ من خلال التمثيل الفنّي للواقع الذي جعل السّارد ينفعل ويتفاعل معه معرفيّا وجماليّا ويجعل المتلقي يعجب بهذا الوصف الذي يضفي رونقا ومصداقية وتألّقا على الرحلة.

1-2- وصف الخيرات وأهوال البحر

1-2-1. وصف الخيرات :

أ. وصف الأطعمة والاشربة :

فزيادة على وصف الشّخصيات والأماكن نجد أنّه لم يفته وصف الأشربة والأطعمة والملابس وغيرها، كما جاء في حديثه: « وفيه مصنعان ألفيناهما مملوئين ماء عذبا صافيا، فأراق النّاس مياههم، وجدّدوا مياها طيّبة... وأحد هذين المصنعين صهريج عظيم الدائرة كبيرها... وكان الماء قد علا فيه أزيد من قامتين » .[2]

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 186.

[2]. المصدر نفسه ، ص 181.

وتحدّث أيضا عن مشارب مدينة الحلّة: « وهذا النهر كاسمه فرات ، وهو من أعذب المياه وأخفّها وهو نهر كبير زخار...».[1]

هذا فيما يخص وصفه للأشربة والأطعمة في مختلف البلدان الإسلامية والعربية، بالإضافة إلى وصفه الملابس.

ب. وصف الملابس :

فقد جاء على لسان ابن جبير وصف زيّ عروس إفرنجية: « وهي في أبهى زيّ وأفخر لباس، تنسحب أذيال الحرير المذّهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصَّابة ذهب قد حفّت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى كبّتها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حليها وحللها تمشي فترا مشي الحمامة أو سير الغمامة».[2]

بما أنّ الرحلة تعدّ نوعا أدبيّا مختلف عن الأنواع الأخرى يكثر فيه عنصر الوصف، فإنّ ابن جبير بمثابة الوثائقي التسجيلي الذي لا يغفل عنه شيئا إلاّ وذكره ووصفه، فقد ذكرنا نماذج فقط على سبيل التمثيل من كل وصف.

1-2-2. وصف أهوال البحر :

ولقد أخذ البحر في رحلة ابن جبير أيضا مساحة تصويرية من خلال البأس والأحوال التي عاشوها في عرضه، فقد قدّم ابن جبير في وصفه له في طريقه إلى الإسكندرية حيث صادفه الكثير من أهوال البحر، يقول: « في ليلة الأربعاء ، بعدها من أوّلها عصفت علينا ريح هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الريّاح بقوّة، كأنّه شآبيب سهام، فعظم الخطب واِشتّد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائرة فبقينا على ذلك الحال اللّيل كلّه واليأس قد بلغ منا مبلغه...فجاء النهار...

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 186.

[2]. المصدر نفسه ، ص279

بما هو أشدّ هولا وأعظم كربا، وزاد البحر اهتياجا وأربدت الآفاق سوادا واِستشرت الريح والمطر عصوفا »[1].

فمن خلال وصفه لأهوال هذا البحر وضع مخيّلته أمام صورة مفزعة تولج القلب حتى شارف مركبهم على الغرق فيقول: « وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد والبحر قد هاج هائجه وماج مائجه، فرمى بهوج كالجبال، يصدم المركب صدمات يتقلّب لها على عظمة تقلّب الغصن الرّطيب كان كالصّور علوا فيرتفع له الموج ارتفاعا يرمي في وسطه بشآبيب كالوابل المنسكب، فلما جنّ اللّيل اِشتدّ تلاطمه ».[2]

شكّل البعد التصويري في كتاب رحلة ابن جبير مجالا فسيحا للتعبير بنسق جمالي اِتّسم المرونة والحيوية لما فيه من التنوّع في رسم الصورة.

فابن جبير أبدى في أوصافه حسا تصويريا حافلا بالإعجاب والدهشة هذا ما يشوّق القارئ ويجعله يعيش هذه الأحداث معه.

فالصورة الفنيّة من أجمل طرق التعبير الفني في العمل الأدبي فقد شكّلت هذه الصورة التي وصف بها البحر، التأثير الانفعالي في المتلقي فالصورة تبني جسور التواصل بين الرّحالة والمتلقي لما تضفيه من عوامل التّشويق على أجواء النّص.

2- التناص:

2-1- المفهوم :

يمثل النص الأدبي تراكميّة النصوص الأخرى، حيث يستفيد اللاّحق من السّابق عن طريق الأخذ من النصوص الأخرى فصل فيها النقد التّناصي، بحيث يتكوّن النتاج الأدبي من الخبرات

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 4.

[2]. المصدر نفسه، ص 290.

الطويلة التي عايشها المنتج عن طريق الإستفادة من التجارب الأخرى للشعراء والكتّاب السابقين، يستقي من بنات أفكارهم مادة ثرية ثم يضيفها إلى نتاجه الأدبي، وهذا يدّل دلالة واضحة على أنّ التلاقح الفكري أمر جوهري في العمل الفنّي.

أ. المفهوم اللغوي

نقف عند مفهوم التناص من الناحية اللغوية، حيث يقال: « نص الرجل نصا، إذا سأله عن شيء حتى يستنصي ما عنده ونص كل شيء منتهاه (...) ونصّصت الرجل إذ اِستقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده(...) ويقال نصنصت الشيء حركته(...) ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظها عليه من الأحكام (...) وانتص الشيء وانتصب إذا اِستوى واِستقام».[1]

ب. المفهوم الاصطلاحي

أمّا من الناحية الإصطلاحية فقد قدّمت لنا القواميس الخاصة بالمصطلحات النقدية عدة تعريفات لهذا المصطلح، فهو: « مفهوم يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد أو العلم على علاقة بنصوص أخرى، و أنّ هذه النصوص قد مارست تأثيرا مباشرا، أو غير مباشر على النّص الأصلي في مرحلة تاريخية محدّدة ».[2]

ويقول فيليب سولر: « إنّ أيّ نص يقع في نقطة التقاء عدد من النصوص الذي هو في نفسه إعادة قراءة لها، وتثبيت لها، وانتقاء منها وتعميق له».[3]

فقد رأى الباحثون المعاصرون في دراستهم النقدية حقيقة هامة مفادها: « أنّ النص لا يمكن أن ينفصل عن ماضيه ومستقبله الذين يمنحانه الخصوبة، وينتشلانه من العقم».[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ، ص 97-98.

[2]. ينظر : سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1 ، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص 74.

[3]. فيصل الأحمر ونبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، ص 120.

[4]. المرجع نفسه ، ص121.

فالتّناص إذن هو دراسة النّص الحاضر من خلال علاقته بنصوص سابقة لأن الأديب ابن بيئته، لا ينشأ إبداعه من فراغ ولكن يحاول أن يعطيه نوعا من الخصوصية الذاتية، مما ينتج دلالات جديدة في سيّاق النّص، سواء كان ذلك عمدا أو بطريقة لا شعورية من خلال الموروث الثقافي.

2-2- التناص عند الغرب والعرب :

2-2-1- التناص عند الغرب

يعتبر التناص intertextualité من أهم تجليّات الحداثة التي وجدت طريقا لها إلى النّص الشعري العربي والغربي، حيث امتاز التّناص بالاتساع والشمولية بكونه مصطلح شديد الحداثة، إذ ارتبط إطلاقه بالغرب، و كان لهم الفضل في تسميته على العرب إذ اعتبر من آليات الكشف المهمة التي تبحث في طبقات النص، أي تراكمات الطبقة (نصوص تاريخية، فكرية وفلسفية واجتماعية...) التي يتشكل منها النص.

« وممّا لاشكّ فيه أنّ النّص لا يتّم في شاكلة واحدة، وإنما في كيفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسل، ومراعاة مقصدية المخاطب والظروف التي يروّج فيها النص، وهذه الماورائيات نفسها تؤدّي إلى اختلاف إستراتيجية المتلقي من عصر إلى عصر» .[1]

والتّناص كغيره من المفاهيم و الطروحات الأدبية، لم يظهر فجأة متكاملا، بل مرّ بمراحل عديدة تعمّق من خلالها، إذ أنّ هناك إجماع نقدي عالمي أن "جوليا كريستيفا" هي أول من وضع هذا المصطلح منطلقة من مفهوم الحوارية عند " ميخائيل باختين".

[1]. عبد الله العشي، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح، عالم الكتب الحديثة،ط1 ، 2010، ص 159.

أ. الحوارية عند ميخائيل باختين:

كان ميخائيل باختين أوّل من أشار إلى الخاصّية الحوارية للنّص الأدبي، « ولذا اعتبر باختين أن البعد الحواري موجود في كل المجالات الأدبية ، سواء الشّعر أو النثر، وحتى الحديث الذاتي فإننا نجد فيه بعدا حواريا، وهنا نرى أنّ المبدأ الحواري الذي يؤسس عليه باختين رؤيته للغة والكلام مبدأ واسع ومتشعب نظرا لما يمثله في تبادل للوعي الإنساني، ولعلّ ذلك ما أثار بعض الانتقادات حوله وجعله صعب المتابعة والفهم » .[1]

ما يعني أنّ باختن قد ركز على علاقة الحوار بين النصوص، مقتربا من مفهوم التناص دون أن يطلق عليه هذا المصطلح، لذلك اعتبر أول من طرق الموضوع، حيث لم يوظف مصطلحات للتّناص بل وظف مصطلحات أخرى مثل الحوارية وتداخل السياقات.

لقد مارس باختين التناص تحت عنوان "الحوارية" قبل ظهور مصطلح التناص لكن مصطلح "الحوارية" غامض ، حتى جاءت البنيوية وما بعدها لتوسعه في إطار التناص، ولكن رغم هذا لا نختلف في الدور الذي لعبه باختين في بلورة هذا المفهوم، و أنّ له الفضل في توجيه الدراسات نحو هذه النظرية النصية.

ب. التّناص عند جوليا كريستيفا:

بعد الجهود المبذولة من الباحث باختين في هذا المجال جاءت الباحثة كريستيفا لتكمل ما لم ينهه باختين فتقوم بوضع مصطلح التناص كبديل لمصطلح "الحوارية"، فبلورت مفهومه ووضعته

[1]. سليمة عذاوري، شعرية التناص في الرواية العربية، الرواية والتاريخ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة،ط1 ، 2012، ص 96.

ضمن إجراءاته التطبيقية، حيث بسطت أفكارها عن النص و عرّفته بأنّه: " كلّ نصّ يتشكّل من تركيبة فسيفسائيّة من الاستشهادات، و كلّ نصّ امتصاص وتحويل لنصوص أخرى» [1].

وحدّدت النّص أيضا بأنّه جهاز يعيد توزيع نظام اللسان « بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه .

فالنص إنتاجية وهو ما يعني أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع، لذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية، لا عبر المقولات اللسانية الخالصة، وأنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطفة من نصوص أخرى».[2] وقد أفادت كريستيفا من دي سوسير في البحث عن النص الغائب في فضاء اللغة الشعرية.

ومن هنا نستنتج أن" التناص عند "كريستيفا" ليس مجرّد انتحال أو ما يسمى السرقة الأدبية أو حتى التقليد، ولهذا فإنّ « قراءة نص معناه أن يفتح نحو النصوص الأخرى التي اشتركت في نسجه وبنائه، أو قراءة نص هو العثور في تناصيته على آثار نصوص سابقة ومقاطع مفرقة ما بين النصوص».[3]

و بعد ظهور مصطلح التناص مع كريستيفا، استقطب هذا المصطلح أيضا الباحثين الغربيين في الساحة النقدية ، مثل : جرار جنيت، و رولان بارث، و لوران جيني، و ميشيل آرفي وغيرهم.

---

[1] – وليد الخشاب، دراسات في تعدي النصّ، الكتاب الأوّل دراسة، المجلس الأعلى للثّقافة، المطابع الأميريّة، 1994، ص 9. و ينظر: نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص 215.

[2]. فيصل الغازي الغنيمي، العلامة والرواية" دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد" لعبد الرحمن منيف، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2009، ص 233.

[3]. عبد الجليل مرتاض، التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، الجزائر، ص 13.

2-2-2- التناص عند العرب:

دخل مفهوم التناص إلى الكتابات النقدية العربية في ثمانينات القرن الماضي، يحمل معه المفاهيم النقدية التابعة للثقافة التي ظهر فيها. و تعددت ترجماته من ناقد إلى آخر، إضافة إلى محاولة البحث عن جذور للمصطلح في التراث النقدي.

ومن بين الباحثين العرب الذين درسوا هذه الظاهرة نذكر محمد مفتاح الذي شرح المصطلح بالعودة إلى جذوره الغربية ثمّ ربطه بقضية السرقات الشعرية والمعارضات عند العرب، و وقف عند العديد من المفاهيم كالمعارضة والمعارضة الساخرة والسرقة، كما ذكر أقسام التناص، و هي عنده:

- التناص الضروري و التناص الاختياري.
- التناص الداخلي, و التناص الخارجي.

كما ذكر أنواع أخرى مثل التناص العشوائي الذي تغيب فيه الإحالة، و التناص الواجب الذي ينطوي على إحالات صريحة[1].

« لكنّ مفتاح سرعان ما ترك مصطلح التناص ليهتم بالتشاكل الصوتي والصرفي , والإيقاعي والتركيبي والبلاغي والدلالي والتداولي, و هو عنده بمثابة توسيع وتمطيط وتكرار لنواة دلالية معينة, قد تكون عنوانا أو فكرة أو جملة محورية, تتردد في النص وتحقق الانسجام.

أمّا محمد بنيس فيذهب إلى أن النص الشعري بوصفه بنية لغوية متميزة هو شبكة يلتقي فيها غير محدود من النصوص»[2]

فلا يمكن للنص أن ينسج تميزه من خلال تركيبه الداخلي فقط , لأنّه لا ينفصل عن النصوص الأخرى.

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، ص121.

[2]-محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دراسة بنيوية تكوينية، ط2 ، دار التنوير، بيروت، 1985،ص 251.

و حدد ثلاث مستويات للتناص، و هي:

- مستوى الاجترار : يعيد فيه الشاعر كتابة النص الغائب بشكل نمطي جامد لا حياة فيه.
- مستوى الامتصاص: هو أعلى من المستوى الأول، حيث ينطلق من الإقرار بأهمية النص الغائب وقداسته، ويتأثّر به.
- مستوى الحوار :وهو أرقى مستويات التعامل مع النصوص، فالشاعر يغير النصوص الغائبة و لا يقلّدها حرفيا. حيث يفجر الشاعر مكبوته ويعيد كتابته على نحو جديد وفق كفاءة فنية عالية»[1].

كما تفرد الغذامي بمصطلح "تداخل النصوص, وهو يعده من نتاج السيمياء والتشريحية.

و ينقل من كريستيفا ورولان بارت, فالنص المتداخل « هو نص يتسرب إلى داخل نص آخر ليجسد المدلولات سواء وعى الكاتب ذلك أم لم يع»[2].

والنص دائما صدى لنصوص أخرى وما هو إلا نتيجة لاختيار حل محل ما سواه من إمكانيات الاختيار» [3].

« فقد كانت لهذا الناقد جهود نقدية تنظيرية في مجال التناص، و إن اختصّ أكثر بالنقد الثقافي.

و بالإضافة إلى هؤلاء نجد بعض المساهمات التطبيقية, حيث استعمل سعيد يقطين مصطلح التفاعل النصي إلى جانب مصطلح التناص, فيبرر استعماله هذا بقوله أن التناص ليس إلا واحدا من أنواع التفاعل النصي, و أن التفاعل النصي أعمق في حمل المعنى المراد»[4].

---

[1]– محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص253.

[2]– عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر, ط2 , النادي الأدبي، جدة ,1991, ص 321.

[3]– المرجع نفسه, ص61 .

[4]– سعيد يقطين :انفتاح النص الروائي , النص والسياق, المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001، ص 92، 93.

ومن أجل إنجاز تحليل دقيق للتفاعل النصي، اقترح تقسيم النص إلى بنيات شبيهة بتقسيمات جينيت، و حدّد أنواع ثلاثة من التفاعل»[1]، هي:

- **المناصة Par textualité**: وهي البنية النصية التي تشترك وبنية نصية أصلية في مقام وسياق معينين, وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة.
- **التناص Intertextualité**: التفاعل النصي هنا يأخذ بعد التضمين لعناصر سردية لبنيات نصية سابقة، تدخل معها في علاقة.
- **الميتانصية Méta textualité**: وهي نوع من المناصة, لكنها تأخذ بُعدا نقديا محضا.

و حاول أن يطبّق هذه الأنواع على الأعمال الروائية، كما تطرّق لأشكال هذا التفاعل كما ورد عند الغربيين.

تطرّق هؤلاء النقاد لأنواع التناص وأشكاله ومستوياته , والتي لا تخرج في مجملها عن إطار التأثر بما وضعه نقاد الغرب المشاهير. و بعدها انتشرت البحوث الأكاديمية حول هذا المفهوم، و جاء الكثير منها حاملا مصطلح التناص في العنوان، و منها ما تنول الشعر المعاصر، أو القديم، ومنها ما ركّز خاصة على جنس الرواية.

2-3- مصادر و أنواع التناص في رحلة ابن جبير:

3-1- مصادر التناص

من مصادر التناص: النص القرآني والحديث النبوي الشريف، إضافة إلى التناص مع التراث الإنساني كالأمثال والحكم، والقصص والأساطير والأخبار، والتناص الأدبي، خاصة مع الشعر، سواء تناص داخلي مع شعره هو، أو تناص خارجي مع نصوص أخرى.

و نظرا للثقافة الدينية والعربية الخالصة لابن جبير فإننا نجد مختلف هذه الأنواع من التناص في رحلته.

[1]- سعيد يقطين :انفتاح النص الروائي , ص 92، 93.

3-2- أنواع التناص

أ. التناص الديني:

« ... وهو تداخل نص ديني مع نص إبداعي عن طريق الاقتباس الحرفي أو المعنوي أو التضمين من القران الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو من الكتب السماوية السابقة ، حيث نجد القران الكريم كتاب الأمة ودستورها والنبع الذي ينهل منه الأدباء والمفكرين والنقاد على حد سواء فكان أعظم معجزة لأعظم نبي » [1]

يعد التناص الديني المنبع الذي يأخذ منه جل الأدباء والمفكرين والنقاد ، كونه دستور الأمة ومعجزتها لبلاغة البيان وقوة التصوير ، والتشخيص ، وجزالة الأسلوب فجعله المبدعون نبعهم العذب الذي يسد ظمأهم و ينير مصباح إبداعهم .

« تضمنت كتاباته الكثير من الآيات القرآنية ومن أمثلة ذلك الآية الكريمة في قوله تعالى:

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ۝٩٦ " الآية 96 من سورة آل عمران.[2]

وكذا قوله في الآية: « أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ۝١٥ » الآية 15 من سورة الطور».[3].

وكذلك ذكره الآية الكريمة التالية:

« وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ۝١٦ » الآية 16 من سورة النمل[4]

---

[1] مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، 1996 ، ص237 – 238

[2]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 152.

[3]. المصدر نفسه، ص 154.

[4]. نفسه ، ص 194.

كما تضمنت قوله تعالى :

« ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ » الآية 61 من سورة غافر.[1]

إضافة إلى الآية الكريمة:

« ۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ » الآية 203 من سورة البقرة.[2]

وكذا تضمنه للنص القرآني من سورة الجاثية في قوله تعالى:

« إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ » الآية 19.[3]

و ذكره الآية:

« قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ » من سورة سبأ الآية 39.[4]

و من سورة القصص، قوله تعالى:

« وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ » الآية 57.[5]

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص195.

[2]. المصدر نفسه ، ص 151.

[3]. نفسه، ص139.

[4]. نفسه، ص 99.

[5] نفسه ، ص89.

فقد أكثر ابن جبير – كغيره من الكتّاب الرحالة العرب – من الاتكاء على معاني القرآن ، وتراكيبه ، وهذا دليل على استقامته، وثقافته الدينيَّة.

و ضمّن من سورة إبراهيم قوله تعالى:

« رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ » الآية 37".[1]

إضافة إلى الآية:

« رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ » من سورة إبراهيم الآية 37.[2]

واقتبس ابن جابر كثيرا من الآيات القرآنية عن موضوع الحجّ، و جاء بالآية المباركة:

« ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ » سورة البقرة الآية 158".[3]

كما استشهد بقوله تعالى:

« مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ » سورة النحل الآية 106".[4]

نجد كذلك بين طيات كتاباته الآية المكرمة من قوله تعالى:

« وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥ »

سورة الزخرف الآية 35.[5]

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 89.

[2]. المصدر نفسه ، ص 79

[3]. نفسه، ، ص77

[4]. نفسه، ص315

[5]. نفسه ، ص305.

إن رحلته حافلة بالآيات القرآنية، حيث تصادفنا من ورقة لأخرى آيات عديدة، كما في قوله تعالى:

« وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ » سورة الأعراف الآية 155.[1]

وغيرها الكثير من الآيات التي سطعت بها رحلته، فقط ذكرنا بعضها على سبيل التمثيل. و كانت اقتباساته حرفية.

أما الأحاديث فنجد منها:

"قوله ﷺ: « علموهم الصلاة يعلّموكم الدعاء»".[2]

"وكذا قوله: «الإيمان يمان».[3]

و قوله: «اسكن حراء، فما عليك إلاّ نبي وصدّيق وشهيد».[4]

وكذلك أحاديث أخرى وردت في رحلته، استخرجنا نماذج تحفظ توظيفه للتناص الدّيني، وصلته الوثيقة بالله، واللجوء إليه دوما، و تدل هذه التوظيفات أيضا أن ابن جبير رجل مسلم ذو حمية دينية وعاطفة إسلامية كبيرة.

و كلّ هذه الأحاديث تبين تعلقه الروحي بكل ماله علاقة بالسيرة النبوية، والقيم الأخلاقية التي دعا إليها الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا من حسن ما امتازت به الرحلة عند العرب عن غيرها ممّا كتبه الغربيون من رحلات.

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص276.

[2]. المصدر نفسه ، ص105.

[3]. نفسه، ص105.

[4]. نفسه، ص83.

ب. **التناص الأدبي:**

« يعد النص الأدبي متميزا حيث يتداخل هو الأخر مع نصوص أخرى ،سواء كانت للكاتب نفسه ، أي نفس الكاتب الذي كتبه ، أو أدباء آخرين يعيشون في زمن الكاتب متزامنين له في نفس العصر أو الزمن أو من سبقه سواء كانوا من نفس الثقافة أو لا ينتمون لهذه الثقافة » .[1]

النص الأدبي متميز لأنه يركز على الكاتب وتداخل نصه مع كتاب آخرين في عصره أو من سبقه حتى ولو اختلفت الثقافة .

نلاحظ في رحلة ابن جبير توظيفه لبعض الأشعار في كتاباته، فبعضها تعود له وبعضها لغيره، و نظهر نماذج منها للتوضيح.

فمن أشعاره التي نجدها في كتاب رحلته:

« سيكون الذي قضي سخط العبد أو رضي » .[2]

« وأيضا من شعره نجد:

أين فؤادي أذابـــــه الوجـــد وأين قلبي فما صحا بعد

يا سعدي زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت يا سعد» .[3]

و هكذا لم يقتصر ابن جبير على تدوين رحلته بأسلوب سردي قصصي فقط، لكنه أيضا شاعر برع في نظم الشعر، و زيّن به نصّه الرحلي على سبيل التناص.

كما نجد انه أخذ من شعر ابن رشيق القيرواني قوله:

« البحر مرّ المذاق صعب لا جعلت حاجتي إليه

أ ليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه».[4]

---

[1] محمد حسن عبد الله ، الصورة والبناء الشعري ،دار المعارف ،القاهرة ،ط2 ،1989 ،ص282

[2]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 291

[3]. المصدر نفسه، ص196

[4]. نفسه، ص289-290.

و قد ذكر هذين البيتين بعد ما عناه من أهوال السفر بحرا.

وكذا أخذه من شعر أبي نواس الحسن بن هانيء في حديثه عن مكان يسمّى نصيبين ذكّره بخمائل الأندلس و جمال مناظرها:

« طابت نصّيبين لي يوما فطبت لها يا ليت حظي من الدنيا نصّيبين».[1]

"وكذالك توظيفه لشعر حسان كاستشهاد على بلدة مكة المكرمة، قائلا:

« تـثـيـــر الـــنـــقـــع مـــوعـــدها كـــــداء» .[2]

و نجد أيضا شعر الحارث بن مضاض الجرهمي:

« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمـر بمكـــة سامر

بلى نـحن كنـا أهلهـا فأبادنـــا صروف الليالي والجدود العواثر» .

والحجون هو الموضع الذي دخل منه المسلمون يوم فتح مكة[3]، و هو ما عناه الجرهمي.

ج. التناص التاريخي:

« يتم فيه تداخل النص الأصلي الماثل أمامنا مع وقائع مختارة حيث تبدو متناسقة ومنسجمة لدى المبدع مع السياق الروائي وتؤدي عرضا فكريا وافيا » [4]

النص الأصلي يتداخل مع النص التاريخي وكأنما يتطابق مع سياق الحديث وتؤدي الغرض بصورة واضحة جلية .

---

[1]. ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص 212.

[2]. المصدر نفسه ،ص80

[3]. نفسه ص 80.

[4] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ،1985 ،ص 46

يتحدث في طيات كتاب رحلته عن بعض المعارك التاريخية وغيرها، فنذكر مثال عن ذلك الحرب التي كانت بين النصارى والمسلمين فيقول: « ومن أعجب ما يحدّث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى (...) ومن ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، وهو من أعظم حصون النصارى، وهو المعترض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر... هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين...»[1]

و ذكر سيرة صلاح الدين الأيوبي، و قال عنه: « ومن مفاخر هذا السلطان المزلفة من الله تعالى وآثاره التي أبقاها ذكرا جميلا للدين والدنيا: إزالته رسم المكس المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيدين» [2] .

ثم تحدث عن أحد ملوك مدينة صقلية، و هو الملك غليام، و ذكر معاملته الطيبة للمسلمين، فقال: « وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين واتخاذ الفتيان المجابيب، وكلّهم أو أكثرهم كاتم إيمانه متمسك بشريعة الإسلام، وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحواله »[3].

وقد ذكر ابن جبير في رحلته كلّ ما سمعه من أخبار و قصص، و رسم لنا الحياة بكل تجلياتها في القرن السادس الهجري وبداية السابع الهجري، واهتم بذكر تاريخ كل مدينة مر بها.

كما ذكر معلومات عن الآثار والمساجد والدواوين والمدارس و مختلف المعالم، وحرص على تسجيل ما تعرض له المسلمون في بعض المدن على يد الصليبيين.

كتب ابن جبير مثلا عن أخبار الموصل وولاتها وأعمالهم عن طريق ما نقله له الحجاج، فقال: « وأخبرنا غير واحد من الثقات ، ممن يعرف حال خاتون هذه – أم عز الدين صاحب الموصل، أنها أنفقت في طريقها إلى الحجاز ، صدقات ونفقات في السبيل مالا عظيما وتحب الصالحين» [4].

---

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص 260-261.

[2]- المصدر نفسه، ص 30،31

[3]- نفسه، ص297 ، 298.

[4]- نفسه ، ص 57.

رحلة ابن جبير قيمة علمية كبيرة في التاريخ والجغرافية، لما حوته من مادة مستمدة من الملاحظة والسماع، عن أحوال البلاد والمدن التي مر بها، فكانت صورة حية صادقة عنها، وفيها تسجيل ووصف للعادات والتقاليد والطبائع لسكانها.

إن وظيفة التناص إظهار مواطن الإبداع في النص الأدبي ، وذلك باستحضار النصوص الغائبة في ثنايا النص الحاضر لذا تعتبر عملية التناص من الوسائل الفنية التي يوظفها الكاتب لإغناء النص الأدبي بمختلف الإشارات المعرفية ، إضافة إلى إظهار مدى اتساع ثقافة المبدع .

3- الخصائص الفنية للرحلة

3-1- بناء الرحلة والأسلوب الفني :

3-1-1- بناء الرحلة

« لقد حرص ابن جبير على الاهتمام ببناء كتاب رحلته من خلال افتتاحها بالبسملة تبركا بالابتداء بها، و نلاحظ أنه جعلها في سطر لوحدها، و من هذا الجانب، فإنّ بناء الرحلة يشبه كثيرا بناء الرسائل التي تفتح عادة بالبسملة، ثم تتبع تلك البسملة بالصلاة على الرسول ﷺ، كما تأتي في سطر لوحدها، كما جاء في افتتاحية الرحلة «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، «اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ».[1]

كما تشمل الرحلة على الكثير من العناوين الثانوية، حيث جعل الرحالة في صدر كل جولة عنوانا خاصا، يدل على فحواها، فقام بوصف كل ما مر به من مدن ومناظر وما شاهد من غرائب المشاهد وبدائع الصنائع والأحوال الاجتماعية والسياسية وغيرها.

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص1.

ثم ختم رحلته بالحمدلة، والصلاة على سيد الخلق صلى الله عليه وعلى كافة المسلمين، حيث قال: « والحمد لله على الصنع الجميل الذي أولاه والتيسير والتسهيل الذي والاه، وصلواته على سيد المرسلين الأولين ومنهم والآخرين ومحمد رسوله الكريم و مصطفاه، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهداه وسلم وشرف وكرم » [1].

3-1-2- الأسلوب الفني :

« إنّ الأسلوب في مفهومه اللّغوي العام هو الطريقة في الكتابة ومذهب في التعبير عن الأفكار والمشاعر، ووجه من أوجه إفصاح الكاتب عن شخصيته المتميّزة عن غيرها» .[2]

وأيضا : « فهو المنوال الذي ينسج فيه الكاتب التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه » .[3]

والأسلوب في البلاغة القديمة هو« الأسلوب الجميل المثالي الرصين لفن الكتابة، إنّه قضية محسّنات وزخرفات وأشكال وتعليم» .[4]

ويمكن تعريفه بأنّه المنهاج الذي ينتهجه الأديب في التعبير عما يجول في خاطره من معان وعواطف وأفكار بصورة صحيحة مؤثرة تنقل لنا مدى إحساسه وشعوره بفنه.

وفي رحلة ابن جبير يتنوع الأسلوب من السّرد القصصي إلى الوصف. ولكن أبرز ما يميز الكتابة في كتاب رحلته أسلوب الكتابة القصصي الذي اعتمد فيه الكاتب السّرد المشوق بما قدمه من متعة ذهنية، فيغلب على أسلوبه الاسترسال في حالة السرد والحكاية ، كما تغلب عليه الصنعة الفنية،

---

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص 322.

[2]. عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، 1979، ص 20.

[3].ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار مكتبة الهلال، تحقيق حجر عاصي، بيروت، دط ، 1988، ص 336.

[4]. وائل البركات، مفهومات في بنية النص اللسانية النثرية الأسلوبية التناصية، دار معهد للطباعة والنشر والتوزيع،سوريا ، ط1، 1996، ص 67.

وذلك من خلال الوصف لبعض المدن والمشاهد في المقدمات، وهذا يدل على أنه كتب رحلته بأسلوبين:

أ. **الأسلوب المطلق أو المرسل:**

هو النثر الخالي من الأسجاع وهو أسلوب الرواة والمؤرخين، يتّسم بالسهولة والبساطة وخلوه من التعقيد والغرابة. ومثال ذلك قوله: « فبات الناس بالمشعر الحرام هذه الليلة، وهي ليلة السبت، فلما صلوا الصبح غدوا منه إلى منى بعد الوقوف والدعاء، لأن مزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر، ففيه تقع الهرولة في التوجه إلى منى حتى يخرج عنه، ومن مزدلفة يستصحب أكثر الناس حصيات الجمار وهو المستحب، ومنهم من يلتقطها حول مسجد الخيف بمنى، وكل ذلك واسع، فلما انتهى الناس من منى بادروا لرمي جمرة العقبة بسبع حصيات ثم نحروا أو ذبحوا وحلو من كل شيء إلا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الإفاضة، ورمي هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر»[1].

وقوله أيضا: « فلما كان اليوم الثالث تعجل الناس في الانحدار إلى مكة بعد أن كمل لهم رمي تسع وأربعين جمرة: سبع منها يوم النحر بالعقبة، وهي المحللة، ثم إحدى وعشرون في اليوم الثاني، بعد زوال الشمس، سبعا سبعا في الجمرات الثلاث وفي اليوم الثالث كذالك، ونفروا إلى مكة فمنهم من صلى العصر بالأبطح، ومنهم من صلاها بالمسجد الحرام، ومنهم من تعجل وصلى الظهر بالأبطح ... »[2]

ب. **الأسلوب المقيد:**

الذي يكون مقيدا بقيود الصنعة الفنية من الألفاظ المتجانسة والأسجاع المتناسقة التي كان يلتزمها كتاب النثر الفني. ومثال ذلك هو السرد القصصي المشوق كما جاء في القول الذي حكاه عن قصة الأعجمي مع أمير مكة فقال: « ومن أغرب ما اتفق لأحد دهاة الأعاجم ذوي الملك والثراء، انه وصل إلى الحرم الكريم مدة جد هذا الأمير مكثر، فرأى تنور بئر زمزم وقبتها على صفة لم يرضها.

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص 150.

[2]. المصدر نفسه، ص151.

فاجتمع بالأمير وقال: « أريد أن أتأنق في بناء تنور زمزم وطيه وتجديد قبته، وأبلغ في دالك الغاية الممكنة، وانفق فيه من صميم مالي، و لك علي في ذلك شرط ابلغ بالتزامه لك الغرض المقصود، وهو أن تجعل ثقة من قبلك يقيد مبلغ النفقة في ذلك، فإذا استوفى البناء التمام، وانتهت النفقة منتهاها وتحصلت محصاة.. فاهتز الأمير طمعا، وعلم أن النفقة في ذلك تنتهي إلى آلاف من الدنانير(...) وشرع الرجل في بنائه واحتفل واستفرغ الوسع وتأنق وبذل المجهود(...) فلما لم يبق إلا أن يصبح صاحب النفقة بالحساب ويستقضي منه العدد المجتمع فيها، خلا منه المكان وأصبح في خبر كان وركب الليل جملا وأصبح الأمير يقلب كفيه ويضرب أصدريه.. وفاز الرجل في ثوابه وتكفل الله به في انقلابه وتحسين مآبه »[1]

3-2- اللغة و التصوير الفني :

3-2-1- اللغة :

تعتبر اللغة العمود الفقري والقاعدة التي يستعملها ويبني عليها كل أديب عمله إذ تعد من أبرز الآليات التي يستخدمها للتعبير عما يجول في خاطره، فهي التي تجعل منه مبدعا، وهي أهم ركيزة يقوم عليها العمل الأدبي. « إن اللغة أساس النص الأدبي وإن الاديب المتمكن هو الذي يمتلك هذه اللغة ويفكر في تراكيبه ثم ينشئ بها أدبه، فإذا كانت لغته رديئة لم ينفعه تفكيره، فقيل إيراد النص الأدبي لابد للأديب أن يتمكن من لغته».[2]

و هي «الأداة المعطاة التي تتيح للعمل الأدبي أن يقوم، فهي إذن وحدها جديرة بالاعتبار وهي وحدها التي تمثل فيها الحقيقة الأدبية لكل إبداع.. ».[3]

فاللغة هي الأرض الخصبة التي يغرس فيها السارد أفكاره وشعوره لهذا يتطلب من الكاتب اكتساب المقدرة على التعبير، كما نعرف أن اختيار اللغة أصعب خطوة يخطوها السارد في عمله لأنه يكتب لمجموعة من المتلقين لذلك يجب أن تكون لغة خاصة ومميزة.

---

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص 98.

[2]. ينظر: بدوي طباكنة، أبو الهلال العسكري ومقايسته البلاغية والنقدية، مطبعة الرشاد، ط2، 1960، ص32.

[3]عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2004، ص 124.

واللغة ألفاظ ومعاني ولابد أن تتآلف مع بعضها، بحيث تكون الألفاظ موافقة للمعاني، ومن المعروف أن اللفظة الواحدة لا تستطيع إيراد المعنى الصائب لوحدها، وإنما لابد أن تتآلف مع غيرها من الألفاظ كي لا يأتي الكلام نافرا.

الألفاظ في سياق هذه الرحلة جاءت مألوفة بسيطة، فهي مختارة منتقاة، طابعها الوضوح والسهولة، وهذا ما تقتضيه طبيعة الرحلة في التبليغ والإخبار، فابن جبير كان غرضه الإبلاغ عما شاهده وما مر عليه من أماكن ومسالك ومشاهد وعادات وغيرها، فكان عليه أن اعتمد مألوف الألفاظ ليوصل للمتلقي الصورة واضحة كما شاهدها.

ونستشهد بقوله: « ولأهل دمشق وغيرها من هذه البلاد في جنائزهم رتبة عجيبة، وذلك أنهم يمشون أمام الجنائز بقراء يقرؤون القرآن بأصوات شجية، وتلاحين مبكية، تكاد تنخلع لها النفوس شجوا وحنانا، يرفعون أصواتهم بها، فتلقاها الآذان بأدمع الأجفان، وجنائزهم يصلى عليها في الجامع قبال المقصورة، فلابد لكل جنازة من الجامع، فإذا انتهوا إلى بابه قطعوا القراءة، ودخلوا إلى موضع الصلاة عليها...».[1]

فنرى أن في هذا النص لجأ إلى ألفاظ مألوفة سهلة قصد بها الإخبار عن عادات أهل دمشق في مراسم جنائزهم وتصويرها للمتلقي فألفاظه بسيطة معبرة تناسب الحدث وتتسق معه.

فلغة ابن جبير في الرحلة تحوي ألفاظ دقيقة واضحة فصيحة منسجمة مع بعضها من حيث التركيب كالعقد المنظوم، وكذا تتّسم بالجزالة، كما كان متأثرا بالقرآن الكريم أخذ منه الفصاحة، ويظهر ذلك جليّا في كتابته، نرى ذلك متجليا في قدرته العجيبة في تنسيق الألفاظ على وزن واحد، ومثال ذلك قوله في وصف مدينة نصيبين: « شهيرة العتاقة والقدم، ظاهرها شباب، باطنها هرم، جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصغر، ويمتد أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر، وقد أجرى الله فيه مذانب

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص268.

من الماء تسقيه، وتطرد في نواحيه، وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الأشجار، يانعة الثمار... ».[1]

يكثر ابن جبير من السّجع والجناس و مختلف المحسّنات البديعية. و نلاحظ ذلك أيضا في قوله في وصف أهل مدينة السلام بغداد: « وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجبا وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمّن سواهم الأحاديث والأنباء..».[2]

و تكثر عنده مثل هذه الألفاظ الجميلة التي اجتمعت فيها الجزالة مع سهولة المعاني التي خصت رحلته بالإضافة إلى الألفاظ الدينية كالصلاة، الصيام، التراويح، القرآن، الحرم، المسجد[3]. دليل على تشبّع الذات وميلها إلى الجانب الديني. فاللّغة التي يعبّر بها تعتبر الصوت الحقيقي والصادق لصاحبها، لذلك يجب أن تكون سهلة طبيعية بمقدار ما تحمل من بصمة صاحبها من رقة وحسّ مرهف وتعبير صادق.

3-2-2- التصوير الفني:

استخدم ابن جبير فنون البلاغة لدعم أسلوبه القصصي، فقد اتّسم أسلوبه باستخدام فنون التصوير كالمحسّنات البديعية، و منها الطباق، والسّجع، وذلك قصد إمتاع القارئ، وإضفاء الحيوية لدى قراءة المتلقي للرحلة، فقد سطع النثر المقفى (السّجع) في مقدمات وصفه للمشاهد المكانية، منها المدن والمواقع، و نجد أنّ السّجع من أكثر الألوان البلاغية تنغيما وإيقاعا.

---

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص 212.

[2]. المصدر نفسه ، ص 190.

[3]. . نفسه، ص 190 .

أ. السّجع

هو توافق أواخر فواصل الجمل (الكلمة الأخيرة في الفقرة) ويكون في النثر فقط، ومن شواهد ذلك في ذكره لمدينة حلب: «بلدة قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطابها من الملوك كثير، محلها من التقديس أثير، فكم هاجت من كفاح، وسلت عليها من بيض الصفاح، لها قلعة شهيرة الامتناع، بائنة الارتفاع... »[1].

ومن حلاوة السّجع الذي يمتع الأذن أيضا في ذكره لمدينة بزاغة: « بقعة طيبة الثرى، واسعة الذرى، تصغر عن المدن وتكبر عن القرى، بها سوق تجمع بين المرافق السفرية والمتاجر الحضرية...»[2]

و من مقاطع السّجع وصفه لمدينة منبج قائلا: « بلدة فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والانتهاء، جوها صقيل ومجتلاها جميل، ونسيمها أرج النشر عليل، نهارها يندى ظلّه، وليلها كما قيل فيه: سحر كله، تحفّ بغربيها وبشرقيها، بساتين ملتفة الأشجار، مختلفة الثمار... ».[3]

وغير ذلك من وصفه للبلدان بالجمل السّجعية كمدينة دمشق، نصيبين، حمص، حماة وغيرها.

و من خلال هذه الأمثلة يفرض علينا أن نقر ببراعة ابن جبير وحسن استخدامه للسّجع، حيث جاء به متساويا متوازيا، فهذا يدل على تمكن صاحبه منه في تلوين وزخرفة نصّه.

إن استعماله للسّجع لم يمنعه من إيصال المعنى وما يريده من خلاله، بل أوصله للمتلقي، بخفة وسهولة جعلته يرسخ في ذهنه.

---

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص 223-224.

[2]. المصدر نفسه ، ص 223.

[3]. نفسه ، ص 222.

و يوجد في المحسنات نوع من الإمتاع والمؤانسة وذلك نتيجة الجرس الذي أبدع فيه ابن جبير، حيث يتّسم السّجع بخاصية تعطي سرا لجماله، وهي القدرة على إعطاء نغما موسيقيا يهطل على مسامع القارئ ليثير النفس ويطربها.

كما حفل الطباق في أوصاف ابن جبير، و قد وظّفه بطريقة غير مباشرة حيث ساهم في إعطاء لمسة فنية لرحلته.

ب. الطباق

الطباق هو الجمع بين الكلمة وضدها في الكلام الواحد، ونجد الطباق في ذكره لمدينة نصيبين قائلا: « شهيرة العتاقة والقدم، ظاهرها شباب، وباطنها هرم، جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصغر، يمتد أمامها وخلفها بسيط».[1]

كما نجد الطباق في وصفه لمدينة اخميم المصرية: « وداخل هذا الهيكل من المجالس والزوايا والمداخل والمخارج والمصاعد والمعارج والمسارب والموالج...»[2]

وكذلك في قوله في ذكر مدينة دنيصر: « قد تساوى فيها السوقة والملوك، واشترك فيها الغني والصعلوك».[3]

وكذا في ذكر مدينة مسينة بصقلية كما جاء في قوله: «لا تزال بها ليلك ونهارك في أمان»[4]، وغيرها من الطباقات الموجودة في أوصافه للبلدان، وهذه الطباقات ساهمت في تحسين المعنى، وإبرازه بوضوح، ويجعله أكثر تأثيرا في نفس القارئ.

---

[1]. ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص 212.

[2]. المصدر نفسه ، ص 31.

[3]. نفسه ، ص 214.

[4]. نفسه ، ص297.

خاتمة

خاتمة:

استطاع أدب الرحلة أن يجعل لنفسه حيّزا ومكانة مرموقة في الأدب على مستوى الكتابة الأدبية و السّردية على حد سواء، بِاعتباره منفرد النوع لأنّه يختلف على الأنواع الأخرى (الرواية، الشّعر...) ولعلّ ما زاد في جماليّة الخطاب الرحلي هو اِنفتاحه واِستثماره لمعلومات وأخبار متنوّعة والتي أعطتها صفة الواقعية.

من خلال دراستنا لتقنيات السرد في رحلة ابن جبير، نجد أنّه صاغ أسلوبها بلغة سهلة مشوّقة تتّسم بحسن السّرد ودقة الوصف وروعة التصوير، وخفة السّجع مما أكسبها سمة الأدبية والقيمة الفنية.

قد لعب الوصف دورا مهما في رحلة ابن جبير، وذلك بالتضافر مع عنصر التناص كما لعب البعد المكاني دورا أساسيا ومهما في الرحلة من خلال ذكره للاماكن المقدسة وتناولها بشكل ينم عن روح دينية وذلك بالتضافر مع عنصر الزمن الذي أضفى على الرحلة سيمة الواقعية بالإضافة إلى تناوله الشخصيات خصوصا الشخصية الساردة (ابن جبير) ، كما نجد تنويعه للأساليب في كتابة رحلته، فنص الرحلة يكاد يكون نصا سرديا بامتياز، إضافة إلى ذلك القيّم الروحية والمشاعر الإيمانية المجسّدة في الرحلة ممّا أضفى عليها جمالية خاصة، وأكسبها سمة مميّزة في الأدب الإسلامي يتجلى ذلك في التناص الدّيني الذي توفرت الرحلة عليه .

– وفي الختام نسأل الله عزّ وجل أن يكون حالفنا التوفيق في إبراز أهم النتائج التي توصّلنا إليها محققة بذلك الهدف المرجو من هذا البحث.

– ونأمل أن تكون هذه الدراسة فاتحة لدراسات أخرى كي يظل هذا الأدب راسخا.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

✓ **المصادر :**

- **القران الكريم**
- **رحلة ابن جبير**
- **المعاجم**

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، مج 6، 1997.
- جميل صليب، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، دار التوفيق، بيروت، لبنان، 1994.
- الخليل ابن أحمد الفراهدي، كتاب العين، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ج4، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم، ناشر، بيروت، 2010.

✓ **المراجع :**

- إبراهيم أنيس وآخران، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.
- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون/ منشورات الاختلاف، بيروت لبنان، 2008.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار مكتبة الهلال، تحقيق حجر عاصي، بيروت، 1988.
- أحمد بورايو، منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة)، منشورات السهم، الجزائر العاصمة، 2009.
- أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ط1.
- أحمد طالب، الفاعل في المنظور السميائي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002.
- أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، (دط) (دت).

- أوريد عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية، (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.
- بحار الأنوار، ج43، ص53-54، وكتاب الخلاف للشيخ الطوسي، ج3، ص189، مختلف الشيعة للعلامة الحلي، ج5، ص60، وجواهر الكلام، ج22.
- بدوي طباكنة، أبو الهلال العسكري ومقايسته البلاغية والنقدية، مطبعة الرشاد، ط2، 1960
- تزفيتان تودروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996.
- جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلس العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد6، 2006.
- حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1900، ط1.
- حسن عليان، تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة، سيرة مدينة وشعب.
- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية، مركز اوغاريت الثقافي، فلسطين، ط1، 2007.
- الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 1974، ج3.
- رشيد بن مالك، السميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة لمؤلفه تقي الدّين السبكي، ص122، طبعة دار صادر، الجامع اللطيف.
- سعيد سلام، التناص التراثي في الرواية الجزائرية أنموذجا، ط1، عالم الكتب الحديث، بيروت، 2010 .
- سعيد علوش، الصورة الغربية في الذاكرة الغربية، ضمن مجلة الثقافة الأجنبية (محور أدب الرحلات)، بغداد، العراق، السنة التاسعة، العدد 03، 1989.
- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- سليمة عذاوري، شعرية التناص في الرواية العربية، الرواية والتاريخ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2012.

- سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
- شجاع العاني، البناء لرواية الحرب في العراق، دار شؤون الثقافة العامة، بغداد، 1964.
- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (دط)، 2009.
- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، " التجنيس آليات الكتابة خطاب المخيل ورؤيته"، القاهرة، ط1.
- شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، تر: لحسن حمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1995.
- صبحي حموي، أنطوان نعمة، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001.
- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- صلاح فضل، نظرية بنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 1985.
- الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، بنائها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014/2013.
- عامر غرابية، الشخصية الروائية (وظيفتها، أنواعها، سماتها)، مدونة عامر عربية، إطلالة على الواقع والتحولات، الأردن، (دط) (دت).
- عبد الجليل مرتاض، التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، الجزائر.
- عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، د/ت، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004.
- عبد الرحيم مؤذن، الرحلة في الأدب المغربي، النص، النوع، السياق.
- عبد الفتاح كيليطو، الحكاية والتأويل – دراسات في السرد العربي– دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997.

- عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط4، 2008.
- عبد القادر صحراوي، تجليات التناص في شعر النقائص، ثالوث الأموي نموذجا(جرير والفرزدق والأخطل)، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2011/2010.
- عبد الكريم شرفي، مفهوم التناص، مجلة دراسات أدبية،ع2، دار الخلدونية نشر وتوزيع، الجزائر، د ت.
- عبد الله العشي، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح، عالم الكتب الحديثة، 2010.
- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر, ط2 , النادي الأدبي، جدة ,1991.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998.
- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، 1979.
- عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس، علم الكتب الحديث، الأردن، 2011.
- عز الدين المناصرة، علم التناص المقارن، " نحو منهج عنكبوتي تفاعلي"، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006.
- عزدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط9، 2013.
- عزدين المناصرة، نقلا عن: مهدي عبيدي، جمليات المكان في ثلاثية حنا مينة، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2011.
- عمر بن قينة، رحلة ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

- الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1986.
- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،
- فيصل الأحمر ونبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، ط، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
- فيصل الغازي الغنيمي، العلامة "الرواية" دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2009.
- مجد الدّين بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرفوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2005.
- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دراسة بنيوية تكوينية، ط2 ، دار التنوير، بيروت، 1985.
- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، (دط) (دت).
- محمد عزام، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي، – دراسة– من منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.
- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، دار الطبع، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري– إستراتيجية التناص.
- من عرفات إلى مزدلفة، متوفر على: www.alukah.net، اطلع عليه بتاريخ: 2019/12/18 (بتصرف)
- مهما حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2004.
- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني – دراسة موضوعية وفنية– دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009.

- نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، سليمان فياض نموذجا، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
- الهاشمي أحمد، جواهر الأدب في أدبيات إنشاء لغة العرب، د/ط، مطبعة السعادة، مصر 1965، ج1.
- وائل البركات، مفهومات في بنية النص اللسانية النثرية الأسلوبية التناصية، دار معهد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996.
- وليد الخشاب، دراسات في تعدي النصّ، الكتاب الأوّل دراسة، المجلس الأعلى للثّقافة، المطابع الأميريّة، 1994، و ينظر: نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001.
- وهيبة بوطغان، البنية الزمنية في رواية "سرير الأحلام"، أحلام مستغانمي، 2009/2008.
- يحي الشيخ صالح، حداثة التراث" تراثية الحداثة"، قراءات في السرد والتناص، ط1، دار الطباعة والنشر والتوزيع، الفائر، 2009.

فهرس

المحتويات

فهرس محتويات

مقدمة :

مدخل :.....01

الفصل الأول : تقنيات السرد

1-**المكان:**.....09

المفهوم :.....09

جماليات المكان المقدس ودلالته :.....13

جماليات المكان العادي ودلالته :.....29

2- الزمن: 37

المفهوم :.....**37**

أنواع الزمن في رحلة ابن جبير:.....39

البنية الزمانية في رحلة ابن جبير:.....48

3- الشخصيات:.....51

المفهوم :.....**51**

أنواع الشّخصية وأبعادها:.....53

وظائف الشّخصية وعلاقتها بالمكوّنات السّردية:.....58

الفصل الثاني : جماليات السرد

1- الوصف :.....66

المفهوم:.....**66**

وصف الشخصيات و الأمكنة:.....67

وصف الخيرات وأهوال البحر:.....71

2- التناص: 73

المفهوم : **73**

التناص عند الغرب و العرب:.....75

مصادر و أنواع التناص في رحلة ابن جبير:.....80

3- الخصائص الفنية للرحلة :.....88

بناء الرحلة والأسلوب الفني : 88

اللغة و التصوير الفني: 91

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع: 100

فهرس المحتويات : 103